وزارة التعليـــــم العالــي و البحــث العلمــي

جامعة عبد الرحمـــن ميرة - بجاية -

كليـــــة الآداب و اللغـــــات

قسـم اللغة العربية و آدابها

ترجمة فصلين من كتاب: Langage et société لـــ Josian BOUTET و التعليق عليهما.

مذكرة معدة لاستكمال شهادة الماستر نظام ل.م.د

تخصص: علوم اللسان

من إعداد الطالب:
بحيران سفيان.

إشراف الأستاذ:
خيار نور الدين.

السنة الجامعية: 201/2014

- إهداء و شكر -

الحمد لله الذي أنعم علي نعمة حمدهِ، و شكر عباده.

إلى من كان لي عونًا لي في طفولتي و سندًا لي على مر الأيام

والدتي.

إلى من أتقاسم معهم بكاء الحياة و ضحكها

إخوتي.

إلى من كان صاحب الفضل علي، و لم يبخل بدعمه و توجيهاته في رحلة بحثي

أستاذي المشرف.

إلى الذين لا أملُ صحبتهم و رفقتهم

زملائي.

إلى كل من سيقرأ هذا العمل المتواضع

إلى أساتذتي و الذين كانوا عونًا لي منذ بداية مشواري الدراسي.

مقدمـــــــة :

تعد البحوث الأكاديمية التي تنجز في فضاء الجامعة بمثابة القاعدة الأساسية في تكوين أجيال واعية من الباحثين، حيث تعقد عليهم الآمال في تنمية و تحقيق مسار أفضل للغة العربية، و ذلك من خلال تجنيد ما أمكن من الطاقات الفكرية، التي تنطلق من أسس متينة لدراسة طبيعتها، كالتسلح بالأدوات المنهجية و المعرفية المطلوبة للدراسة و الفهم المتأني و الواعي لخصائص هذه اللغة، و مستوياتها المختلفة من صوتية و صرفية و نحوية و دلالية لغاية الوصول إلى فهم طبيعتها و إبراز ما تتمتع به من خبايا و أسرار فضلا عن حسن تمثيلها على المستوى المكتوب.

و لما كانت هذه البحوث بهذا القدر من الأهمية للنهوض بمستوى التعليم العالي في الجامعة، كان أهم شرط لاستكمال شهادة التخرج، هو انجاز مذكرة، و يعد بحث الماستر الخطوة الأساسية و الأخيرة للتخرج ، حيث يعكس المستوى التحصيلي الذي وصل إليه الطالب الجامعي على امتداد فترة دراسته بالجامعة. و في ما يخص بحثنا، أردنا تسليط تركيزنا على الجانب السوسيولساني للغة، فكان موضوع البحث ترجمة فصلين من كتاب "Josiane BOUTET, Langage et société" و التوسع في الأفكار و المصطلحات المهمة التي احتواها الفصلان و ذلك بالاستعانة بأهم عدد من المراجع المتصلة بموضوع البحث. و كوننا قد اخترنا دراسة موضوع يندرج ضمن مواضيع الساعة المتمثل في الواقع السوسيولساني للمجتمع فان طبيعة هذا البحث تقوم على مقاربة بعض الظواهر السوسيولسانية من خلال المدونة و ذلك بترجمتها و التوسع المنهجي في جملة القضايا كما يلي:

- مقدمة فيها عرض لفكرة البحث و المنهج المتبع. و فصلان هما في الأساس فصلان من كتاب Langage et société و هما الفصل الثامن و التاسع. عنوان الفصل الثامن هو Langues et dialectes حيث تناولت فيه الباحثة قضايا سوسيولسانية مهمة كالتنوع

اللهجي و اللغوي و السياسة اللغوية و اللغات المنحدرة من الهجرة و توسعت في مفاهيم عدة مصطلحات كالرطانة و اللهجة.

أما الفصل التاسع فكان عنوانه Les dialectes sociaux و تناولت فيه الباحثة قضية اللهجات الاجتماعية و دور العوامل الاجتماعية و النظام الاجتماعي الطبقي ... الخ

- ترجمة الفصلين: قمت بترجمة الفصلين من كتاب Josiane Boutet المتمثلين في اللغات و اللهجات، اللهجات الاجتماعية و هذا من اللغة الفرنسية إلى العربية بعد قراءة جيدة و متمعنة لفهم أفكار النص فهما سليما و جيدا. اعتمدت في ترجمتي على القواميس الأحادية اللغة و المزدوجة و القواميس اللسانية أهمها: المنهل (عربي– فرنسي) للدكتور سهيل ادريس، و القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان لجان ماري سشايفر، و أوروالد ديكرو، و القاموس اللساني لجون ديبوا.

- التوسع في أفكار و مصطلحات الفصلين: يتمثل هذا الجانب من البحث في إخضاع معظم المصطلحات و الكلمات المفاتيح للشرح و التفسير و الفحص و تقديم أمثلة. فكان أن اعتمدنا في هذه المقاربة المنهج الوصفي التحليلي، و من أهم المراجع المستعملة: حرب اللغات و السياسات اللغوية للويس جان كالفي، كتاب, Sociolinguistique، لمؤلفه FISHMAN، و كتاب, Sociolinguistique, Concepts de base ،لمؤلفه Marie-Louise MOREAU .

أما عن جملة الصعوبات التي صادفتها في هذه الرحلة البحثية، فهي متعددة فمنها ما يعود الى طبيعة هذا البحث الدقيق و الكثيف من حيث مصطلحاته، و منها ما عاد إلى طبيعة المراجع المتخصصة و كيفية الاستفادة منها. لذا فقد نالنا نصيب من التعب و المعاناة في انجاز هذا الموضوع، إلا أن الشيء الذي كان مخففاً لهذه المشقة هو إيماني بقيمة هذا البحث، حيث سعيت بكل جهدي للخروج بدراسة تحليلية و تفصيلية لأكثر الأفكار و المصطلحات أهمية من الترجمة.

و ختاماً، أرجو أن يكون ما قدمته في هذا العمل مساهمة مفيدة مني في خدمة اللغة العربية و أن أكون قد وفقتُ في تقديم قدر من المادة العلمية التي تفيد كل باحث في مجال اللسانيات الاجتماعية، على أمل أن تكون هناك بحوث مستقبلية تستكمل ما بدأناه خاصة في مجال الترجمة اللسانية.

التعريف بالكتاب:

Langage et société هو كتاب سوسيولساني للمؤلفة Josiane BOUTET. نُشر سنـــة 1997. دار النشـــر MEMO(Seuil) . و يدرس موضـوع اللـغة و الخطـاب كظاهـرة اجتماعية، و يطـرح معلومات حول تحليل الخطـاب و اللسانيات الاجتماعية و التفاعلات اللغوية. يتكون الكتاب من 62 صفحـــة، و تحتـوي 10 فصـول وهـي: نشوء اللغات و الكتابات، التواصل، المفهوم الاجتماعي للتواصل، احتكاك اللغات، استعمال التعدد اللغوي، اللغات و المعايير، النظام و التنوع، اللغات و اللهجات، اللهجات الاجتماعية، الكلام و العمل.

التعريف بالكاتب:

جوزيان بوتات أستاذة جامعية في علوم اللسان، في المعهد الجامعي لتكوين الأساتذة في باريس و باريس-(7)، نشرت عدة مقالات في علم الاجتماع و اللسانيات الفرنسية. ساهمت في تطوير ميدان البحث في ما يخص دراسة الكلام في حالة العمل. أخر مؤلفاتها:

Paroles au travail (L'Harmattan,. 1995) .
Construire le sens (Peter Lang. 2e éd..1997) .
Le français en Pologne, mythes et réalités (en collaboration).

اللغات و اللهجات:

لقد أخذ اهتمام اللسانيين بالعلاقات بين اللغات و المجتمع[1] في نهاية القرن 19 شكل الدراسات اللهجية. و اللسانيات التنوعية[2] التي أسسها **لابـوف**[3] تنحدر من هـــذا التيار (علم اللهجات في أوروبا في القرن 19).[4]

و يتعلق الأمر في كلتا الحالتين بوصف خصوصية الاستعمالات الفعلية للغات، في حين نجد علم اللهجات[5] يأخذ - بالأحرى - بعين الاعتبار اللهجات الريفية، و بما أن التيار التنوعي للابوف يهتم بالتجمعات الحضرية الكبرى، فان هذا ما يفضي إلى الحديث عن اللهجات الاجتماعية.

و في مثال عن الواقع السوسيولساني للجزائر نرى أن ما يلفت انتباه الملاحظ و يشده شدا حينما يكون إزاء واقع شبيه بواقع الجزائر هو تعقد هذا الواقع الذي مرده إلى وجود لغات أو

---

(1)- اللغة ضرورة اجتماعية و حضارية. و اللغة هي ذلك النشاط الذي ينتظم من خلاله البشر كافة، و المعيار الذي يفرق بين البشر و سائر المخلوقات الأخرى، و هي قدرة لا تولد مع الإنسان، على حين تولد معه قدرته على التنفس و الرضاعة و المشي. فكل فرد من أفراد الجنس البشري عليه أن يخوض تجربة اكتساب لغته من أفراد المجموعة البشرية التي ينتمي إليها سواء أكان مدركا لتلك الحقيقة أم غير مدرك لها.(روي سي هجمان، اللغة و الحياة و الطبيعة البشرية، ترجمة داود أحمد السيد. عالم الكتاب، ط2. ص26) فمن البديهي التحدث عن التواصل واللغة فهي الجهاز الرئيسي الذي يستخدمه الناس من أجل التخاطب فيما بينهم.

ينبغي تقديم تعريفا لمفاهيم الإطار الاجتماعي و التواصل و اللغة. فلا يعتبر الإطار الاجتماعي، أي المجتمع ذاته مجرد حدث تجريبي حيث يعيش الناس في حقبة معينة و في مكان محدد. انه نسق من العلاقات المستقرة و الثابتة و المتجذرة في صلب المؤسسة التي توزع المراكز و تحدد المهمات و المواقع المختلفة بين أعضاء الجماعة. كما أن هناك عددا لا يستهان به من هذه العلاقات، إن لم نقل بمجملها، يستخدم اللغة و يعتمد نموذجا معينا من التواصل. فما هو إذن دور اللغة في هذه السيرورة الاجتماعية؟ للإجابة على هذا التساؤل، ينبغي الأخذ على محمل الجد البناء الداخلي للنشاط اللغوي. وفي السياق نفسه، كيف تؤثر الطبيعة الاجتماعية للنشاط اللغوي على بنيته الداخلية؟ (بيار أشار، سوسيولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب ترو. منشورات عويدات، بيروت، 1996، ط1. ص13 بتصرف)

بالأحرى عدة تنوعات لغوية « variétés linguistiques » و كذا عدم إجرائية الخطاطات التي لا تقوى على الإحاطة بواقع متقلب تتخلله صراعات خفية (و أحيانا ظاهرة) ، في طور التغير الجم بسبب آثار السياسة الثقافية، و الإرادية volontariste و المعقدة و كذلك بسبب تشابك و تداخل عدة مجتمعات متعايشة لها تصوراتها و مجالات استعمال بعينها، و كذلك من حيث الممارسات الحقيقية للناطقين، و ها هنا إلى ظواهر التعاقب اللغوي /التناوب اللغوي (الانتقال من لغة إلى أخرى أثناء الكلام) أو الاقتراض l'emprunt و ظواهر الاحتكاك اللغوي بوجه عام. (خولة طالب الإبراهيمي. الجزائريون و المسألة اللغوية، عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، 2007.ص13)

(2)- يهتم علم اللهجات بالتنوعات اللغوية المرتبطة أكثر بالمساحة الجغرافية و المسافة المحددة لها. اللغات المستعملة على مدى الأقاليم الشاسعة هي عادة ما تنطق بطرق مختلفة و متنوعة في مجالاتها المتعددة.

قد تكون اختلافاتها فونيتكية، فعلى سبيل المثال الرئيس "كندي" يستعمل كلمة "cuber" لـ "cuba " و "vigor" ، في حين ينطق المقيم بفيلادلفيا cuba و vigor، و المقيم في جنوب الولايات المتحدة سينطقهما cubah وvigor، و قد تكون الاختلافات اللهجية أيضا من أصل معجمي. ينشئ اللهجيون أطالس لغوية لإظهار التوزيع الجغرافي للمواصفات اللسانية التي تهمهم. تتشكل هذه الأطالس من الخرائط التي ترسم عليها الحدود اللغوية التي بداخلها بعض العادات اللغوية المستعملة.
(Joshua A.FISHMAN, sociolinguistique, Labor bruxelles, 1971, p30,31)

(3)- الخطوة الحاسمة من الناحية النظرية و المنهجية في نشأة اللسانيات الاجتماعية هي أبحاث اللساني الأمريكي وليام لابوف المولود 1929، بدأ لابوف حياته العملية بالبنيوية، ثم تدرج باتجاه النحو التوليدي، و قد وضع أثناء ذلك إجراءات و قواعد للدراسة الميدانية، و التي اتبعها في تحليل المتغيرات الصوتية و المتغيرات الاجتماعية، و قد ضبط لابوف دراسته في حيز جغرافي محدد و هو جزر مترتياس، وضح كذلك أثر العوامل غير اللسانية على الوقائع اللسانية في دراسة ميدانية أخرى تناول فيها نطق حرف الراء R عند سكان مدينة نيويورك و دراسة ثانية تناول فيها الملفوظ عند السود الأمريكيين.
(لطفي بوقربة، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، معهد الآداب و اللغة، جامعة بشار، ص5.)

يمثل الكلام (لغة محلية) للساني مجال دراسة الأكثر أهمية لأنه يطابق القواعد الأساسية لكل فرد. يشعر المتحدث بالارتياح عند استعماله التنوعات التي يكتسبها منذ الطفولة. و أيضا تلك التي يستعملها في الحالات الأكثر شخصية و المألوفة، إذن فهي الحالات الأكثر صعوبة بالنسبة للساني عند دراستها.
الهدف من الدراسة اللسانية في جماعة ما يجب يكون معرفة و اكتشاف طريقة كلام الأفراد عندما لا يمثلون مجالا للدراسة و الملاحظة (أي في حالتهم الطبيعية اليومية)، و لو أن الحصول على هذه البيانات

و المعلومات غير ممكن دون هذه الدراسة و الملاحظة. فيتغير سلوك المتحدث عندما يشكل ميدان للدراسة و هذا استجابة للنظرة التي يشكلها المتحدثين عن أنفسهم باعتبارهم عنصر للدراسة.
بما أن شعور المتحدث الذي وضع تحت الدراسة و الملاحظة لا يمكن أن يختفي نهائيا (اللجوء إلى الدراسات السرية هو الحل الأنسب). يعرض لابوف طرق و تقنيات أمثل لاستعمال (اللغة المحلية) على سبيل المثال: استحضار حالات و وضعيات أين سيحس الفرد بخطر الموت مثلا أو في مقابلات جماعية.
(Marie-louis MOREAU, Sociolinguistique, concepts de base, Madrdaga, 1997,p226)

(4)- منذ القديم في أرويا خاصة، لُقبت اللسانيات الاجتماعية التي تأثرت بأعمال ويليام لابوف بعلم اللهجات الاجتماعية. هذه التمييزات تسند للمشروع الذي أنشأه لابوف من أعماله الأولى لإعطاء الاعتبار للغة الجماعة اللغوية عبر الدراسة التي أقامها على بنية التنوعات.
تشكل نقطة التقاء بين المجتمع و اللغة الموضوع الرئيسي للمقالة التي أنشأها لابوف في (1992). كتب في بداية مقالته أنه من المهم التمييز بين التنوعات المستقرة و التغيرات التي هي في صدد التطور في الجماعة، لان العوامل اللسانية و الاجتماعية لا تفرض نفس التأثير في كلتا الحالتين.

(5)- يشير مصطلح علم اللهجات إلى النشاط الذي يصف و يقارن الأنظمة أو اللهجات المختلفة التي يكمن فيها التنوع اللغوي، و الذي يرسم الحدود التي تحيط بها.
نشأ هذا المصطلح من بحوث اللغويين لتعيين القواعد الفونتكية بطريقة نظامية في ألمانيا من طرف "جورج وينكر"، تأسس علم اللهجات بصفة نهائية بالأعمال التي قام بها "جليرون"، و الأطالس اللغوية.
علم اللهجات هو أيضا دراسة للسانيات الجغرافية و الظواهر اللهجية المختلفة.
(Jean DUBOIS, dictionnaire de linguistique de linguistique et des sciences du langage, larousse, 1994, p145)

1 - علم اللهجات:

أ- مشكلة المصطلح:

تتوفر في التعبير المشترك عدة تسميات للحديث عن التنوعات الإقليمية للغة واحدة[1] أو عن التنوع الجغرافي.

- مصطلح الرطانة[2]. يشير دائما إلى طريقة كلام مشوهة. مضامين غير مرغوب فيها، يستعمل أحيانا من قبل المتحدثين ذاتهم للحكم السلبي على استعمالاتهم اللسانية ولهذا السبب فهو مصطلح مقصى من دائرة اهتمام اللسانيين.
- مصطلح العامية و اللهجة.[3] لقد صُنفاَ كمترادفين لمدة طويلة: يُعنون **L.Gauchat**[4] دراسته اللهجية الموسعة ب:"قاموس العاميات السويسرية الناطقة بالفرنسية" (1924).

حاليا هناك ميل إلى استعمال مصطلح "لهجة" مع الاحتفاظ بمصطلح "العامية" للاستعمالات الأكثر محلية للهجة ما (في القرية مثلا) .

---

(1) يتعلق الأمر بالمجال الذي افتتحه لابوف و الذي يتعلق بالدراسات التي ترتكز عادة على أبحاث ميدانية، التي تهتم بالوظائف اللسانية الاجتماعية للتنوعات اللغوية لشكل واحد و لظاهرة واحدة، على سبيل المثال التجسيدات المختلفة للصوت الواحد، التنوع النظامي النحوي... الخ.
(Henri BOYER, Introduction a la sociolinguisitque, Dunod, 2001 , p19)

ما يستدعي الانتباه إليه وفق سلم الأولويات، هو تعدد اللغات داخل الجماعة قبل أن ندرك ما يحصل بين الجماعات، يعني ذلك كل ما يخص المواقع التي تشهد التعددية اللغوية، حيث الجماعة نفسها تستعمل نظامين لغويين مختلفين أو أكثر و ذلك من أجل تأمين التواصل الداخلي.(...) انتقد فيشمن، الفكرة القائلة بأن اللغات المتعددة تنتمي إلى جماعات مختلفة. و ترتكز الفرضية الأساسية للتوزيع الوظيفي على أن اختيار لغة معينة في الجدول المشترك يتحدد قبل كل شيء بالاستعمال الاجتماعي. (بيار أشار، سوسيوجيا اللغة، تعريب د.عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، ص31)

(2) ورد في المنهل تعريفها، لغة عامية محلية مبسطة تستخدم للتفاهم بين جماعات مختلفة اللغات و بخاصة في الموانئ و في أماكن التجمعات التجارية.
لغة مشوهة غير مفهومة، لغة خاصة (لغة خاصة بأصحاب مهنة أو بجماعة معينة).
(المنهل، د.سهيل إدريس، قاموس فرنسي- عربي، دار الآداب للنشر، ص684)

يمكن القول أن مصطلح jargon نفسه أصبح في بعض الاستعمالات الحديثة يعني كلمة رطانة. كانت تعني في الفرنسية قديما: تغريد الطيور، زقزقة العصافير، أصولها المبكرة غامضة، يمكن الحصول على استعمال مباشر بمعنى غناء الطيور حتى وقت متأخر، منتصف القرن 19. (...) و لكن تطورها العام كان في اتجاهين: لوصف صيغ كلام غير مألوفة و هجينة على وجه الخصوص أو محلية بطريقة سلبية (...). و ثانيا لوصم مصطلحات موقف فلسفي أو ديني معارض.
(ريموند و ليمز، الكلمات المفاتيح، ترجمة نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، ط1، 2007، ص176)

إننا لا نقصد بها المتغيرات التي تحملها مجموعة اجتماعية- مهنية إلى اللغة القومية (و خاصة إلى المعجم و إلى النطق). و ينظر إلى الرطانة، على عكس العامية، بوصفها انزياحا إراديا، وذلك انطلاقا من لهجة جماعة أكثر اتساعا. و ليس من الممكن دائما، في هذا الانزياح، أن نميز ما يتصل بالطبيعة الخاصة للأشياء المقولة من إرادة تتوخي أن لا يكون المرء مفهوما، و من رغبة الجماعة في تأكيد أصالتها. فهناك رطانة خاصة تتعلق باللسانيين، و بكتاب العدل، و بمتسلقي الجبال، و بالمتأنقين، إلى آخره. ولذا، فان اللهجة الاصطلاحية لفئة اجتماعية، يمكن أن تعد ضربا خاصا من ضروب الرطانة: إنها لهجة فئة اجتماعية تقدم نفسها بوصفها علامة لوضع اجتماعي – ليس خالصا فقط- و لكن لوضع هامشي (و بتعبير هيمسليف، فان اللجوء إلى لهجة فئة اجتماعية حيث لا يكون ثمة رهان، فان ذلك يفضي إلى دلالة حافة ((غير اجتماعية)).
(اوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي،ط2، 2007،ص ص 129،130).

(3)- كان المعنى اليوناني الأصلي حديث، أو محادثة، و قد توسع فعلا ليدل كذلك على طريقة الكلام أو لغة بلد أو منطقة. بخلاف استعمالات عرضية، أصبحت الكلمة متخصصة من القرن 17 وخاصة من القرن 18 في معناها الحديث السائد الذي ليس هو مجرد لغة منطقة، بل كما يعرفها قاموس أوكسفورد (إحدى الصيغ أو التنوعات الثانوية التابعة للغة التي تنتج عن خصوصيات محلية للمفردات و النطق و الاصطلاح).
(ريموند ويليمز، الكلمات المفاتيح، ترجمة نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، 2007، ط1، ص111)

يعرف اللهجيون أن التنوعات التي تهمهم ليست راجعة للمسافة الجغرافية بحد ذاتها، بل هي راجعة للتأثيرات التي تنتجها هذه المسافات و أنواع أخرى من هذه المسافات يمكن أن تتشكل تنوعات فنولوجية، و نحوية و صرفية على أقاليم كبرى بشرط أن تكون تنشئتها غير مبرمجة، و بشرط أيضا أن تكون تفاعلات في الكلام للحفاظ على المماثلة المشتركة في الكلام، على سبيل المثال في المدن الكبرى، مثل هذه الاعتبارات دفعت كثيرا من اللهجيين للاهتمام بالمجموعات الاجتماعية، و التطورات الثقافية الاجتماعية، البيداغوجية، المعنية، الدينية و العرقية، و غيرها، بدلاً من الجانب الجغرافي في حد ذاته.
(Joshua A.FISHMAN, sociolinguistique, Labor bruxelles, 1971, p31,32)

يشير لابوف إلى تأثير الطبقة البورجوازية على الطبقات الأخرى من حيث الجانب اللغوي حيث يحاول متحدثو الطبقات الأخرى تقليد الطبقة البورجوازية في طريقة نطقهم و استعمالهم للغة بشكل عام، و يعطي مثالاً عن رفض متحدثي نيويورك للغة البورجوازية و هذا لأنهم يربطون فكرة الرجولة بطريقة حديثهم، أو أكثر، بطريقة استعمال أفواههم و حناجرهم أثناء الحديث.
(Pierre BOURDIEU, ce que parler veut dire, librairie athéme fayard, 1982, p89,90)

(4)- ولد L.Gauchat في 12 جانفي 1866 في "برينتش" و توفي في 22 أوت 1942 في "لينزرهيد"، و هو لساني سويسري يدرس اللهجات الرومانية، و أنشأ "قاموس اللهجات السويسرية-الرومانية" سنة 1899. (http://fr.wikipedia.org/wiki/Louis_Gauchat)

- اللهجة[1]: تتكون اللهجة انطلاقا من عملية الاختلاف في نطاق لغة واحدة. لنأخذ اللغة اللاتينية كمثال، تُستعمل في مناطق مختلفة (من المحيط الأطلسي إلى بحر قزوين و إلى غاية الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني بعد الميلاد) من طرف متحدثين يمارسون لغات و ثقافات أخرى مختلفة (السلتيون، و القرطاجيون، الأوروبيون ...)، حيث تطورت اللغة اللاتينية تدريجيا لدى هذه الشعوب.

ظهرت اللهجات المرتبطة بمقاطعة أويل "oïl"[2] في منطقة شمال " لوار، Loire "[3] و مثلها تلك المرتبطة بمقاطعة " OC "[4] في فرنسا بسبب هذا الاختلاف التاريخي للاتينية، في ميادين متعددة هي: الميدان الصوتي، المورفولوجي، النحوي، المعجمي.

[4] هي لغة لهجية أي هي مركبة من لهجات متشابهة في ما بينها، تتكون من سبع لهجات مثل الفرنسية (في فرنسا، بلجيكا، سويسرا، إفريقيا...).

---

(1)- تستعمل عادة للإشارة إلى اللهجة المحلية في مقابل مصطلح "اللغة". اللهجة هي نظام من العلامات و القواعد المترابطة فيما بينها ذات أصل واحد مع نظام اللغة، دون اكتساب المرتبة الثقافية و الاجتماعية المستقلة من اللغة التي انحدرت منها.
نجد في بلدان كفرنسا مثلا لغة رسمية و نظامية، اللهجة هي نظام يتيح الفهم السهل و المتبادل بين الأفراد الذين لا يعرفون إلا اللهجة و الأفراد الذين لا يعرفون إلا اللغة. إذن اللهجة مستبعدة من العلاقات الرسمية، من التعليم الأساسي و لا تستعمل إلا في جزء من البلدان التي تستعمل فيها اللغة (أي اللغة التي انحدرت منها هذه اللهجات).
(Jean DUBOIS, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, larousse, 1994, p143)

(2)- هي اللغات الرومانية التي نشأت في الجهة الشمالية لفرنسا ثم في جنوب بلجيكا (بلجيكا الرومانية) و في الجزر الأنجلونرماندية. تعني كلمة "أويل في صيغة المفرد، الفرنسية بشكل عام، و نجدها في اللسانيات الرومانية تشير إلى اللهجات الفرنسية. و في صيغة الجمع تعني بأن هناك لغات مختلفة: البيكاردية، الوالونية، الفرنسية، النورمندية ... الخ، و كل لغة من هذه اللغات هي لغة أويل.
(http://fr.wikipedia.org/wiki/Langue_d'oïl)

(3)- هي منطقة في فرنسا، و تعود هذه التسمية إلى النهر الذي يعبر فرنسا من الجنوب إلى الشمال في مسافة تتعدى مئة كيلومتر. (http://fr.wikipedia.org/wiki/Loire_(département))

أصبحت لغة oc منذ 1999 من بين اللغات المحمية من طرف القانون الذي يحمي الأقليات اللغوية في ايطاليا، و أصبحت لغة رسمية في "فال داران" في اسبانيا.
(http://fr.wikipedia.org/wiki/Occitan)

يمكن لهذا الاختلاف أن يؤدي إلى عدم تفاهم متحدثو هذه اللهجات المختلفة . على سبيل المثال، **"الكورس"** لهجة منحدرة من الايطالية و التي بدورها منحدرة من ألهجة (dialectalisation) (أي تحويلها إلى لهجة) اللاتينية. **"الوالونية"**[1] هي لهجة من الـ" oïl" الناتجة أيضا عن الاختلاف اللهجي اللاتيني. يصل الكورسيون و الوالونيون حاليا إلى تفاهم متبادل في ما بينهم.

كل لغة رسمية نظامية تكون في بدايتها الأولى عبارة عن لهجة[2]، الفرنسية و الاسبانية كانتا في رومانيا لهجتين تابعتين للاتينية قبل أن تكونا لغتين وطنيتين.

---

(1)- هي لغة من لغات أويل في بلجيكا و فرنسا، و في الجهة الشمالية الشرقية لأمريكا "ويسكونسين"، و هي معترف بها كلغة محلية من طرف المجتمع الفرنسي البلجيكي. يصل عدد متحدثيها إلى 1300000 متحدث. (http://fr.wikipedia.org/wiki/Wallon)

(2)- تحاول اللسانيات التاريخية و المعروفة أيضا باللسانيات المقارنة باكتشاف كيفية تحول الشفرة الواحدة و كيفية انقسامها إلى عدة شفرات (أشكال لغوية) المنحدرة من نفس الأصل و لكن بشكل منفصل (اللغة الأخت او اللغة البنت). كيف لعدة أشكال لغوية أن تنحدر من شكل لغوي واحد. يشكل عامل الزمن الدور الرئيسي في ظهور و تطور العائلات اللغوية التي يمكننا إيجاد العلاقة التي تربطها ببعضها البعض و المتمثلة في أصلها (اللغة الأم).
أخذ اللسانيون في دراسة التفاعل الموجود بين اللغة و الكلام: على سبيل المثال، كيف لنظام كلامي من بين الأنظمة الأخرى المستعمل في الجماعة أن يمتد ليشمل كل الجماعة، و يرفض تدريجيا الخيارات الأخرى الممكنة و هكذا يفرض نظامه اللغوي.
(Joshua A.FISHMAN, sociolinguistique, Labor bruxelles, 1971, p30)

يحدد **L-J.Calvet** (لويس جان كالفي)[1] اللغة بأنها لهجة ناجحة سياسيا[2].

- الاستعمالات المحلية للغة واحدة: يستعمل مصطلح (الفرنسية المحلية) لوصف طريقة
- استعمال الفرنسية في الألزاس و مرسيليا ، و تتمثل الظواهر المعنية بهذا الوصف قبل كل شيء في: طريقة النطق (التنغيمات)، العروض، المعجم. فبالنسبة مثلا لعبارة
- « tourner la salade »، تشير الأطالس اللهجية[3] إلى وجود كيفيات و تنوعات للكلام :مزج، حرك، عكر، مرق، دور، خلط، قلب، كرب. و إلى وجود توزيع جغرافي لهذه التنوعات في ذات الوقت.

---

(1)- هو لساني فرنسي، ولد في 5 جوان 1942. كان أستاذًا في جامعة باريس ثم في جامعة مارسيليا ثم توقف عن التدريس سنة 2012. شارك في إنشاء و تطوير اللسانيات الاجتماعية الفرنسية، و كان من بين ممثليها المعروفين. http://fr.wikipedia.org/wiki/Louis-Jean_Calvet

(2)- يتعلق الأمر بتطوير التنوعات اللغوية لهدف جعلها عاملة في المحيط الذي تنشط فيه التغيرات اللسانية و الاجتماعية المخطط لها تصب في نفس الإطار فهي مرتبطة بعضها ببعض.
يعتمد على اللسانيات الاجتماعية التطبيقية عندما تتخذ قرارات في ما يخص السياسة اللسانية، وعندما يستوجب تطبيقها. يستوجب على اللجنة المختصة في البرمجة و التخطيط اللغوي و الاجتماعي الأخذ بعين الاعتبار بأهمية اللسانيات الاجتماعية التطبيقية، و وجوب الخضوع إلى اللسانيين الاجتماعيين و المختصين الآخرين في مجال اللغة للمساعدة في عملية أخذ القرارات بدلا من إجبارهم على تطبيق قرارات أخذت من قبل، على سبيل المثال
حكومة الفيليبين كانت تهتم باستمرار بتقييم سياستها اللغوية، في مجال التعليم، في ما يخص فرص تعلم لغة الأم المحلية مثلا و في سن أكثر تقدما، تعلم اللغة الوطنية.
و من جهة أخرى دعمت الحكومة الايرلندية البحث عن الحوافز و عن رأي السكان لمعرفة نظرتهم تجاه اللغة الايرلندية، و كيف يتفاعلون مع المجهودات التي تقوم بها الحكومة لإعطاء اللغة الإيرانية وظائف أكثر أهمية. كما نذكر جهود الحكومة النورويجية لتجنب الصراعات اللغوية بالقيام بحماية و تجسيد

حدود في الوقت نفسه للتنوعات اللغوية للمواطنين.

(Joshua A.FISHMAN, sociolinguistique, Labor bruxelles, 1971, p121,122,124)

و كما دلت التجارب، فان صياغة الآراء السياسية و تحقيق القرارات على المستوى الحكومي و تطبيقها في البرلمان و وضعها موضع التنفيذ على الصعيد الإداري عملية صعبة المراس في الديمقراطيات التي تعمل بصورة منتظمة، و هذا هو في الواقع سبب ترهل منظمات المجتمعات الديمقراطية بغض النظر عن تعلق الأمر باستخدام لغة رسمية واحدة أو عدة لغات رسمية. أما في النظم الدكتاتورية فان استخدام لغة رسمية واحدة أسهل بكثير من استخدام لغات عديدة. على سبيل المثال كانت جميع القرارات الحاسمة في الاتحاد السوفييتي السابق تتخذ من قبل الحكومة المركزية في موسكو و تصاغ بالغة الروسية (...). كما أن تعدد اللغات الرسمية لم يستخدم أبدا في أي مكان كان لأغراض التواصل فقط. إن اختيار اللغات الرسمية له علاقة أيضا بسمعة اللغة المختارة و هيبتها.

و حتى عندما تكون قيمة استخدام اللغات الاتصالاتية غير متناسبة مع التكاليف التنظيمية المرتبطة بها، تكون للغة الرسمية قيمة رمزية، و تعادل مكانتها حاجات المجموعة اللغوية.

(هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث. ص38.)

هناك علاقة مباشرة أو غير مباشرة بين كل تسوية تتعلق بمسألة استخدام اللغات الرسمية في دولة متعددة اللغات و بين المبدأ الإقليمي. يعني هذا أن الكيفية التي تجري فيها تسوية استخدام اللغة في دولة ما، يجب أن تتضمن معلومات كافية عن مدى الانتشار الإقليمي للغة (اللغات) المعنية بالأمر، أما حيث يسود مبدأ لغة الدولة، أي عندما لا تتمتع سوى لغة واحدة فقط بمرتبة رسمية، يكون الانتشار الإقليمي للغة الرسمية مطابقا للرقعة الإقليمية التي تشملها سيادة الدولة.

تسود مثل هذه الأوضاع في دول متعددة اللغات مثل فرنسا، و يوغوسلافيا (الجديدة) و تركيا، و إيران، و اليابان و في معظم بلدان أمريكا اللاتينية (...). في التطبيق العملي للسياسة اللغوية نجد العديد من أنظمة الخلط، و إذا ما انطلق المرء من أن الاعتراف بلغات رسمية متعددة في دولة متعددة السلم الاجتماعي للمجموعات مختلفة اللغات من أبناء الشعب، حينئذ يصبح المبدأ الإقليمي مقررا لعملية التواصل إلى توازن عادل ممكن.

(نفسه. ص ص92،93.)

من الصور النمطية المتجذرة حول مغزى و غرض السياسات اللغوية هو أن استخدام لغات عديدة في الوظائف الرسمية بدل استخدام لغة رسمية موحدة (أي واحدة) يشكل إرباكا كبيرا. و هكذا فان تجارب التعامل مع العديد من اللغات الرسمية في بلدان مثل الهند أو جنوب إفريقيا، و كذلك من قبل المنظمات الدولية مثل منظمة الأمم المتحدة أو مؤسسات الاتحاد الأوروبي، تبدو و كأنها تؤكد جميعها على نظرية

الترهل الذي يصيب عمليات إجراء المعاملات الرسمية بلغات متعددة. في الواقع جرت المطالبة مرارا و تكرارا بتسوية أوضاع اللغة الرسمية المستخدمة في هيئات الاتحاد الأوروبي نظرا لأن تعدد اللغات المستخدمة حاليا مكلف جدا و يتطلب تنظيمياً وقتا طويلا.

و في إطار النقاش الذي يدور حول التبسيط التنظيمي لاستخدام لغة رسمية ما سواء على صعيد الاتحاد الأوروبي أو ما يتعلق بكيان دولي معين يضم قوميات عديدة، يجري بصورة عامة فصل الإشكالية اللغوية عن المشاكل السياسية الاجتماعية، مما يؤدي إلى تولد الانطباع و كأن اللغات بحد ذاتها هي العائق الفعلي.

(هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث. ص37.)

إن الوسائل المختلفة المسخرة لتغيير و تحويل الاستعمالات اللغوية التي تعتمدها جماعة لغوية ما في مجتمع ما أو لشعب ما في إطار جهود التخطيط اللغوي المبذولة من قبل العديد من البلدان عبر العالم تشكل في الواقع محاولات عقلانية و واعية لا بغرض التأثير على الأداءات بشكل دائم و مبرم فحسب، بل و بخاصة لتوجيهها صوب هدف محدد سلفا:

"إن التخطيط اللغوي مجرد محاولة لبسط نوع من النفوذ بقصد التأثير بصورة سريعة و أكثر كثافة و اطرادا"، و التخطيط اللغوي هو أيضا نشاط منهجي لتنظيم و تحسين اللغات الموجودة أو لإنشاء لغات مشتركة جهوية أو وطنية أو دولية.

إن التخطيط هو في الغالب من مشمولات السياسة الحكومية التي تنتجها الدولة و غالبا ما تعد جزءا لا يتجزأ من سياسة البلاد التربوية و الثقافية. فالدولة مجبرة على اتخاذ بعض

الإجراءات من أجل تحسين أو تغيير الاستعمالات اللغوية تغييرا جذريا، و السلطة هنا تلعب دورا من أجل فرضها و جعلها ذات مصداقية في أعين الرأي العام.

إن السلطة هي بمثابة عامل جوهري في التخطيط اللغوي لتدعيم المنظمات و المؤسسات و الأشخاص مما يشكل عاملا مساعدا في الإصلاح اللغوي. إن السلطة ذات أهمية في المسائل اللغوية كما هو الشأن في المجالات الأخرى من الحياة الاجتماعية.

(خولة طالب الابراهيمي، الجزائريون و المسألة اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، 2007، ص ص 190،191)

(3)- على اللسانيين استعمال الكثير من الأساليب الخرائطية في أبحاثهم. فغالبا ما يؤدي التحقيق المعجمي إلى وضع الخرائط التحليلية انطلاقا من عملية جمع مختلف التسميات لنفس الواقعة اللغوية في منطقة معينة، يقوم اللساني بطبيعة الحال بتجسيدها في خريطة تسمى حينئذ خريطة معجمية (للمسميات)، و بالمقابل يقوم بجمع الدلالات المختلفة لنفس الكلمة، و سيضع خريطة، ستكون إذن خريطة دلالية

(للدلالات)، و سيحضر أيضا خرائط التنوعات النطقية (فونيتكية و فونولجية) للتحولات النحوية ..... الخ

على العموم تكتفي الأطالس اللغوية بعرض الخرائط، حيث ستسجل كل شكل من الأشكال المعاينة كما هي منذ بداية عملية التحري، و على هذا المنوال تسجيل كل طرق التلفظ بكلمة la chèvre في فرنسا (kévre, chieuve, siebre, chiva, tsabra, kabro, …etc) .

و مثل هذه الخرائط عملية جدا لأنها تخزن معطيات كثيرة، و لأنه على العين أن تقرأ كل تسجيل بالتتابع ليجعل اللساني الخريطة أكثر "ناطقة"، سيستبدل إذن الملفوظات و كل حروفها برموز تتميز عن بعضها البعض بكل سهولة بفضل شكلها، كتلتها، لونها، و بريقها،... الخ، الأمر الذي ينبغي أن يؤدي إلى استعمال الأساليب الخرائطية المؤسسة على قوانين الكتابة السيميولجية.

(Roland BRETON, Géographie des langues, presses universitaires de france 2^{e}ed, 1983, p10)

و يبقى عمل اللساني في هذا المجال هو تحديد المناطق و تعريف اللهجات الخاصة بهذه المناطق، يصعب على اللساني حتما تحليل اللهجات و طرائق الحديث لكل إقليم، لأنه موجود داخل لغة ما في حقل التغير المستمر للظواهر المجاورة التي تمر من شكل لآخر دون الإحساس بذلك و كل لهجة تتبع ميزتها الخاصة، حيث يصعب القول من أين تنتهي لهجة معينة و أين تبتدأ التالية، حيث تقدم الخدمة حتما حزماً من تشابه اللغات و الحاجة على الأقل إلى قرار اللساني، و مع العلم أنه كلما اقتربنا أكثر من الميدان (الأفراد) و من اتساع الرقعة يصبح الأمر أكثر حساسية و اعتباطا لرسم حدود واضحة، فكثير ما يكون هناك عبور عن طريق الأقاليم المشتركة حيث تتداخل الأنظمة اللهجية أكثر من مجرد حل للاستمرارية الذي لا يظهر حقاً إلا في حالة وجود حاجز جغرافي و فراغ إنساني (...) إن مسألة معرفة ما إذا كان تعاقب مجموعة أقاليم لهجية و مستعملي لهجتين متباعدتين هم مرشحون للتفاهم دون تحضير خاص (أو دون المرور عبر لغة نظامية) تبقى مطروحة مع إمكانية إيجاد إجابة مختلفة تبعا لاختلاف الحالات، في الواقع، ما دامت الأقاليم اللهجية ليست متفرقة بأي حل من الاستمرارية، يرسم مجموعها مجال في تغيير مستمر و الذي يعتبر إقليما لسانيا كبيرا، حيث يصبح التقارب ممكنا و ملموسا. غالبا ما تكون هذه الأقاليم اللسانية موطن انطلاق لغة نظامية واحدة، وهي لغة ثقافة، فوق محلية، المدعمة من لهجة أو عناصر لهجات مختلفة.

(Roland BRETON, Géographie des langues, presses universitaires de france 2^{e}ed, 1983, p12,13)

ب- الدراسات اللهجية:

بدأت التحريات اللهجية الميدانية في ألمانيا، سويسرا، و فرنسا في أواخر القرن الماضي.

- ويكمن الهدف من وراء ذلك في إحصاء كامل ودقيق للكيفيات الكلامية الفعلية للمتحدثين خاصة من وجهة نظر صوتية و معجمية.

يتصرف اللهجيون في بناء استنتاجهم بالقيام بتحريات ميدانية: استبيانات، قوائم من المفردات لتقرأ، مقابلات. يتم تصنيف المعطيات المتحصل عليها فيما بعد بطريقة إعداد خريطة تتتبع منطقة بمنطقة، قرية بقرية. ويتم مطابقة كشوف طرق النطق بالخرائط الجغرافية، فقد قام **جيرون** بانجاز دراسة ميدانية من أجل وضع الأطلس اللساني لفرنسا (1902-1912) حيث شملت دراسته عينة موزعة على حوالي ألف منطقة جغرافية. و هكذا سجل بالرموز الفونيتكية كيفية نطق كلمة (Abeille) في كل منطقة من هذه المناطق، فكان أن أنشأ ألفي خريطة.

اقترح اللهجيون فكرة (خط التماثل اللغوي) و هو خط وهمي يحدد مجال انتشار نفس النطق، و نفس التنغيم أو نفس الكلمة.

- نشر المركز الوطني للبحث العلمي (CNRS) منذ الخمسينات في فرنسا، "أطالس لسانية اثنولوجية[1] موزعة عبر خمس و عشرين منطقة لهجية.

---

(1)- في جميع أرجاء العالم هناك حدود و خطوط فاصلة، مرئية و مخفية، طبيعية ومن صنع الإنسان. فالأشرطة الساحلية التي تفصل الكتل الأرضية عن المياه مثلا تنتمي إلى العوائق الطبيعية، تماما مثل السلاسل الجبلية التي تفصل الأراضي بعضها عن بعض. أما الحدود السياسية فهي حدود اصطناعية لا تتألف إلا جزئيا مع المعطيات الجغرافية. علما أن الخطوط الفاصلة الأثنية تظهر كالعوامل المتغايرة، و خاصة في الأشكال الثقافية و في الصورة الأنثروبولوجية الديموغرافية للمجموعات السكانية المحلية. أما الحدود اللغوية بالمقابل فهي حدود غير مرئية، و إشاراتها الحدودية سمعية و لا تظهر للعيان الا بواسطة اللوحات المثبتة في المناطق الحدودية.(...)

ثم إن حدود الدولة و حدود اللغة لا تتطابق في أي مكان من أماكن العالم، إلى درجة أن الخرائط السياسية تظهر ملامح مختلفة تماماً عن ملامح خارطة انتشار اللغات. و في معظم مناطق العالم تكون الحدود اللغوية أقدم بكثير من حدود الدولة. و حتى في عصر القوميات عندما سعى الأوروبيون إلى مؤالفة حدود دولهم القومية مع لغاتهم القومية لم يتمكنوا من تحقيق ذلك إلا بصورة غير كاملة.

(هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث. ص ص49،50،51.)

لقد تطورت المناهج التي يتبعها اللهجيون بشكل كبير في بداية هذا القرن. فبعد التحليل "السماعي" للكلام، تعاقبت تنوعات صوتية على الفيلم الراديولوجي، مسجل الذبذبات، مرسمة الطيف الصوتي[1]، و حديثا تم الاعتماد على وسائل الإعلام الآلي للتحليل الصوتي للكلام.

2- مثال: الوضعية اللغوية لفرنسا: تعد فرنسا من الناحية الرسمية بلدا أحادي اللغة و الفرنسية هي لغتها. ولكن من الناحية الفعلية هناك لغات و لهجات كثيرة مستعملة في هذا البلد، و يعود هذا التنوع اللغوي في فرنسا إلى استعمال لغات مختلفة (الباسكية، البربرية...) و لهجات مختلفة (الكورسيكية، البيكاردية) في الوقت نفسه .

---

(1)- مرسمة الطيف الصوتي جهاز يقوم بتوزيع ترددات الصوت المختلفة الصادرة من مصدر صوتي معين ، ومثلا لكل إنسان له طيف صوتي خاص به ولا يشاركه فيه أحد . ويمكن التعرف على الشخص من طيف صوته ، وهو وسيلة تشبه البصمة للتعرف على الأشخاص ، وتعتمد على تحليل طيف صوتهم. http://ar.wikipedia.org/wiki/ .

(2)- مسجل الذبذبات هو جهاز يقوم بقياس و تسجيل تغيرات التيار الكهربائي.
http://fr.wikipedia.org/wiki/Oscillographe

أ- اللغات و اللهجات الإقليمية:

نسمي "الإقليمية" كل من اللغات و لهجاتها التي شاركت أثناء القرون الأخيرة في البناء التاريخي للوضعية اللغوية في فرنسا. فمن جهة أخرى نميز اللغات المنحدرة من رومانيا، أو اللغات الرومانية، و من جهة أخرى، اللغات غير الرومانية.

- اللغات الرومانية[1]: تتوزع لهجيا عبر عدة مقاطعات، **oïl** في الشمال، **oc** في الجنوب، الفرنسية البروفانسية في منطقة سفويا، و Forez .

تتمثل لهجات **"oïl"** -بالإضافة إلى الفرنسية- هي: البيكاردية، الوالونية، النورماندية، بواتفان، Gallo،Brrichon.

لهجات oc هي:

limousin،l'auvergnat،provencal,nicart,gascon,bzarnais و يضاف إليها "le corse"، اللهجة الايطالية، و الكتالونية.

- اللغات غير الرومانية: في فرنسا:
  - اللغات الجرمانية: Le flamand، الالزاسية أو dialecte non alémanique،
  - le lorrain.
  - اللغة السلتية، البريتونية بتنوعات لهجية.
  - الباسكية، و هي ليست بلغة ليست هندوأوروبية حيث تظهر خصوصيات نمطية مشتركة مع اللغات القوقازية.
- أصبحت اللغات و اللهجات الإقليمية استعمالات ريفية أكثر منها حضرية، فالباسكية مثلا أصبحت أكثر استعمالا في قرى "البيرينه" من "بايون"، أو في "سان جان دولوز". يجدر التوضيح هنا أن الأمر يتعلق بالباسكية ذات الخصوصيات الفرنسية، في حين إذا اخترقنا حدود اسبانيا سنلاحظ استعمالا أكثر للباسكية، نفس الشيء للكاتالونية القليلة الاستعمال في بربينيان، في حين أنها لغة رسمية في كاتالونيا الاسبانية.

---

(1)- نسمي اللغات الرومانية، اللغات المنحدرة من اللاتينية الهجينة، أي من الشكل الذي يستعمل للتواصل اليومي.http://fr.wikipedia.org/wiki/Langues_romanes

- أصبحت اللغات الإقليمية الآن لغات ذات حيوية ضعيفة. و يفقدانها لمتكلميها فإنها تفقد بذلك التنوع الوظيفي المرتبط باللغات. فاللغة البروتونية ليست لغة عمل في فرنسا، و في حال ما إذا استعملت فيكون ذلك في إطار العائلة أو في جماعة معينة. عادةً ما تستعمل هذه اللغات من طرف متكلمين مسنين حيث تطرح مسألة توريث هذه اللغات بحدة. يجب استثناء الناشطين في ترويج هذه اللغات و الذين يحاولون الحفاظ عليها خصوصا عن طريق تدريسها: المدارس الجمعوية (الديوان) في بريطانيا، (Iskatolas) في بلاد الباسك، حيث يتلقى الأطفال تعليما مزدوج اللغة.

بعد أكثر من قرن من سياسة لغوية عملت و تعمل جاهدة على ترويج اللغة الفرنسية و استئصال اللغات الأخرى، يمكن القول أن هذه الأخيرة قد قاومت، إلا أنها تظل في خطر دائم.

الألزاسية مثلا من وجهة نظر توضيحية هي لهجة سويسرية ألمانية، أظهرت حيوية أكبر إلى غاية فترة قريبة جدا، و التي تستعمل سواء في الأرياف أو في المدن الكبرى مثل كولمار في ستراسبورغ، في نطاق العائلة، في العمل (و يذكر في هذا المجال بث إذاعي بعنوان، مستجدات الألزاس بالالزاسية)، في الشوارع، في المبادلات التجارية، إلا أنه في الوقت الحالي يلاحظ أن الازدواجية اللسانية[1] في تراجع على حساب الفرنسية الموحدة.

تقيم الازدواجية اللغوية[1] التي يتحدث عنها **"فرغيسون"** مقابلة بين ضربين بديلين من ضروب اللغة، ترفع منزلة أحدهما ((فتعتبر المعيار))، و يكتب به الأدب المعترف به، و لكن لا تتحدث به إلا الأقلية، و تحط منزلة الآخر، و لكن تتحدث به الأكثرية.

---

(1)- لم يظهر مصطلح الازدواجية اللغوية في أدبيات اللسانيات إلا في عام 1956 حين استخدم اللساني الأمريكي شارل فرغيسون هذا المصطلح المأخوذ من اللغة الإغريقية. و لئن كان هذا المصطلح لا يعني في اللغة الإغريقية سوى الثنائية اللغوية فانه يكتسب عند فرغيسون معنى أدق من ذلك، فقد حدد الكاتب الازدواجية اللغوية انطلاقا من أحوال أربعة يعتبرها مثالية (و هي المنطقة الألمانية في سويسرا، و مصر، و هايتي، و اليونان)، على أنها العلاقة الثابتة بين ضربين لغويين بديلين ينتميان إلى أصل جيني واحد: أحدهما راقٍ و الآخر وضيع (كالعربية الفصحى و العاميات و كالإغريقية الشعبية الحديثة و الإغريقية المهذبة الصافية)... الخ

و يقدم لنا مثالا عن وضع المغرب العربي، خلافا لصنف من أصناف الازدواجية (التعددية مع لغة غالبة وحيدة)، نموذجا خاصا يفرض أن نتفطن أولا لتعريف ما نعنيه باللغة الغالبة. يمكن اعتبار الفرنسية في الوضع الفرنسي لغة غالبة من وجهتي نظر مختلفتين: من وجهة نظر إحصائية أولا (لأن الفرنسية أعلى من اللغات الأخرى، عدد المتكلمين بها)، و من وجهة نظر سياسية اجتماعية ثانيا (لأن الفرنسية لغة السلطة السياسية و الثقافية).

أما في تونس، حيث البربرية ضعيفة الحضور (في حدود واحد في المائة حسب التقديرات)، فتعتبر العربية العامية التونسية حسب الإحصاءات، اللغة الغالبة بلا منازع، و تعد العربية الرسمية لغة غالبة من الناحية الاجتماعية و السياسية، و تقاسمها اللغة الفرنسية طغيانها الثقافي.

أما في الجزائر و المغرب فيختلف الوضع قليلا، فالبربرية حسب الإحصاءات لغة غالبة في المغرب (50.6 في المائة)، و هي تمثل أقلية ضخمة في الجزائر (30 في المائة)، بينما تحتل العربية الرسمية و الفرنسية على وجه التقريب نفي المواقع التي ذكرت في تونس.

(لويس جان كالفي، حرب اللغات و السياسات اللغوية، ترجمة د.حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص 78،79،90)

بالنسبة إلى مارتيني، "انه لمن الضروري عادة تحديد مصطلح الازدواجية (الاستعمال المتناوب للغتين من قبل الفرد أو الجماعة الواحدة) على الأقل لدحض ذلك الاستنتاج القائل بأن لا وجود للازدواجية إلا في حال امتلاك اللغتين المعنيتين امتلاكا كاملا متماثلا".

إن المجتمع الجزائري مزدوج لأن هناك لغتين مختلفتين: العربية و الفرنسية، مستعملتان على نحو من الاحتكاك الدائم.

انه لمن الضروري بمكان إذن توسيع مفهوم الازدواجية "من حيث هي ظاهرة شاملة تستلزم في الوقت عينه حالة من الازدواجية الفردية و ازدواجية للتبليغ على المستوى الجماعي. فعندما يحصل التبليغ المزدوج دون ازدواجية الأفراد، فثمة مع ذلك احتكاك اللغات".

(خولة طالب الابراهيمي، الجزائريون و المسألة اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، 2007،ص ص 44،45)

ب- اللغات و اللهجات المخرجة من إقليمها الأصلي[1]:

نسمي اللغات المخرجة من إقليمها الأصلي، تلك المستعملة من قبل المتكلمين المنحدرين من حركة هجرة حديثة العهد، تحديدا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد كانت الاحتياجات الصناعية الكبيرة لليد العاملة سببا لموجة الهجرة الكبيرة في نهاية القرن الماضي، مثلا هجرة الايطاليين (اتفاقية ثنائية للهجرة في 1919) الذين أتوا للعمل في المناجم في شمال فرنسا. استقرت هذه الجماعة دفعة واحدة في نطاق ازدواجية لسانية نشطة و انتهجت سياسة الحفاظ على لغتها وذلك بالاستعانة بمنشآت صحفية بالبولونية، و تعليم البولونية في "مدارس الأحد"، و فالحفلات و المواسم.

- اللغات المخرجة من إقليمها الأصلي هي لغات منحدرة من عائلات لغوية مختلفة بحدة:

اللغات السامية: اللهجات العربية المستعملة من قبل الجزائريين، التونسيين و المغربيين، الذين وصلوا تحديدا في الستينيات.

اللغات الماند: بامبارا الماليين (لهجة الماليين)[2].

---

(1)- عادة ما يقدمون و يفسرون اللهجيون عناصر غير جغرافية لتفسير التنوع و الاختلاف اللغوي و اللهجي، فإذا كوَنَ مهاجرون البلد "أ" في البلد "ب" أقلية من الفقراء الأميين. ستعني لهجة "أ" لسكان البلد "ب" أكثر من لغة منطقة معينة و محددة، فستتحول لهجة "أ" إلى رمز لمرتبة اجتماعية دنيا.
(Joshua A.FISHMAN, sociolinguistique, Labor bruxelles, 1971, p36)
الهجرة المحلية (داخل إقليم وطن واحد، كالهجرة الريفية) أو الخارجية (بين بلدين)، هي الحالات التي تظهر فيها الظواهر اللسانية الاجتماعية الأصلية بشكل كبير، و التي تعود لاحتكاك لغتين أو أكثر (لغة المهاجرين و لغة البلد المستقبل) في سياق مميز، داخل إطار تواصلي بين أفراد مجموعتين

مختلفتين أو بين أفراد مجموعة المهاجرين. تشكل هذه الظروف الخاصة لاحتكاك اللغات لدى المهاجرين استعمالات لسانية اجتماعية مؤهلة لتغيير سجلهم اللغوي.

(Henri BOYER, Introduction a la sociolinguistique, Dunod, 2001 , p19)

ما يزال الكثير من الأوروبيين يعتقدون أن تعدد اللغات في عالم الدول الأوروبية ظاهرة استثنائية و أن الطبيعة الموحدة للثقافات الوطنية في أوروبا قد تبدلت من جراء قدوم طالبي اللجوء السياسي و المهاجرين بحثا عن العمل. غير أن الأوروبيين أصبحوا في هذا الصدد ضحية أيديولوجية دولهم القومية التي كانوا قد أسسوها بروح عصر القرن التاسع عشر و التي لا تزال تؤثر حتى الآن. و بالتوازي مع هذه الإيديولوجية، التي تعد الدول القومية الأوروبية بموجبها كيانات تتألف من مجموعات سكانية متجانسة، انتشرت أيديولوجية لغوية قومية تقوم على المبدأ القائل بأن الدولة القومية المتجانسة يجب أن يكون لها لغة رسمية موحدة.(...) إن التعددية الثقافية و التعددية اللغوية صفتان تميزان المسرح السياسي لأوروبا منذ أقدم الأزمنة. أما توزيع المشكل اللغوي متعدد الألوان الذي حدث اثر تدفق سيول اللاجئين و النازحين فهو تجربة فتحت فجأة أعين الأوروبيين. و انطلاقا من الإطلاع على التناقضات الثقافية و اللغوية الغريبة تنبه الناس الوقائع اللغوية – الثقافية التي باتت تحيط بهم من كل حدب و صوب . أي وقائع تعدد اللغات التي كانت في السابق قد طمست أو تم تشويهها بواسطة أيديولوجية الدول القومية التي كانت تمجد ثقافة اللغة الواحدة فقط.

(هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث. ص35،36.)

(2)- لغة تنتمي إلى مجموعة عرقية افريقية و التي تعيش في مالي، و هي لغة منتمية إلى لغات الماند المتحدث بها من قبل الباماريون. (بحث فوري في:dictionnaire Antidote)

اللغات الرومانية: الاسبانية، الايطالية، البرتغالية، ويضاف إليها اللغة الرومانية، و ذلك منذ 1989.

اللغات السلافية: الروسية، البولونية في بداية القرن، ثم بعد 1989 للهجرة الثانية.

اللغات الأسيوية الجنوبية الشرقية: الفييتنامية التي وصل متحدثيها أثناء الحرب العالمية الأولى للنضال في الجبهة أو للعمل في المصانع الخلفية. الخميرية، لغة مستعملة من قبل الكمبوديين اللاجئين إلى فرنسا بعد 1975، لهجات في الجنوب الشرقي للصين (خاصة لهجة كانتوني).

اللغات الأورالوبلطيقية: التركية التي هاجر متحدثوها الى ألمانيا و فرنسا في السبعينات لأسباب اقتصادية.

لغات الكريول: هي منحدرة من احتكاك لغات العبيد – أثناء عملية زراعة القطن (غرب إفريقيا بالنسبة لجزر الأنتيل، و غينيا، إفريقيا الشرقية بالنسبة لجزيرة الاجتماع[1])، و لغات المزارعين.

- اللغات المنبثقة عن الهجرة هي لغات حضرية:سواء غادر المهاجرون بلدانهم لأسباب سياسية(مثل الأرمينيين بعد الإبادة الجماعية في تركيا سنة 1915، الاسبانيين بعد الحرب الأهلية في 1936، الفيتناميين بعد نهاية الحرب سنة 1917، أو الصربيين في التسعينات بعد انقسام يوغوسلافيا) أو لأسباب اقتصادية (مثل البرتغاليين في الستينات، أو الماليين)، أصبحوا كلهم الآن مدنيون وبذلك أصبحت تلك اللغات المخرجة من أقاليمها الأصلية لغات مدن، خلافا للغات المحلية.

(1)- هي جزيرة بركانية تطل على المحيط الهندي و تقع في شرق مدغشقر مشكلةً مقاطعة فرنسية من وراء البحر. تبلغ مساحتها 2500 كلم مربع و يبلغ عدد سكانها 800000 نسمة، أما عن اللغات المستعملة فيها، الفرنسية و الكرييول.

(بحث فوري في:dictionnaire Antidote)

- الحيوية:[1] حيوية هذه اللغات متنوعة، و تعتمد بشكل كبير على السياسات اللغوية التي تنتهجها الجماعات. فالبعض منها تدفع إلى ثنائية لغوية نشيطة و إلى الحفاظ على اللغة الأصلية مثل: الأرمينيين، البرتغاليين، الصينيين، بينما تظهر الجماعات الأخرى وضعا أكثر تعقيدا، و هو حال تناقل اللغة العربية في العائلات العربية اللسان الذي لا يحقق إجماعا، يبدو أن الفتيات - اللواتي هن عادة أكثر تمدرسا من إخوتهن - متمسكات أكثر باستعمال العربية من الذكور.

اللهجات الاجتماعية:

تعد ظواهر الهجرة و العولمة الاقتصادية و انحطاط العالم الريفي -من وجهة نظر الباحث اللساني الاجتماعي- عوامل مساهمة في تطور المدن الكبرى و الضخمة، و في تطور اللهجات الاجتماعية[2] أيضا.

كثيرة هي المبادلات الكلامية بين المجموعات الاجتماعية ،خاصة في الأماكن العامة، أماكن التجارة، علاقات العمل، في شبابيك المحطات مثلا ، حوارات مهنية مثل مقابلات التوظيف و زيارات الموظفين الاجتماعيين.

نسمي في اللسانيات الاجتماعية "تنوعا اجتماعيا" تلك الاستعمالات الاجتماعية المختلفة للغة واحدة. و يتحدد هذا التنوع من خلال جملة من الخصائص الاجتماعية الجغرافية التي يميز بينها المتحدثون: كالانتماء الاجتماعي في شقيه جغرافيا و العرقي[3]، السن، الجنس ...

---

(1)- يتعلق الأمر بسلوك الجماعة اللغوية المعينة، في حين أن التنوعات اللغوية فيها تكون نشيطة و ذو حيوية ظاهرة، هي كذلك في حين أن المتحدثين يستعملونها تلقائيا و بعفوية لعدة وظائف نشيطة. كلما يكثر مستعملو هذا التنوع، تكون حيويتها أكبر و أكثر أهمية، و كلما قل عدد المستعملين لهذا التنوع كلما ضعفت.

(Joshua A.FISHMAN, sociolinguistique, Labor bruxelles, 1971, p41)

(2)- يرتبط مفهوم اللهجات الاجتماعية (Sociolecte) بالتنوعات اللسانية. يعرف مصطلح اللهجات الاجتماعية عامةً بالتنوعات اللغوية المستعملة من طرف الجماعة، مجموعة اجتماعية ثقافية، أو طبقة من سن واحد أو متقارب. إن كانت اللهجة الانجليزية بإمكانها الحصول على مفهوم جغرافي أو اجتماعي، فان الفرنسية تميز بدقة أكثر.

تُحدَد اللهجات الاجتماعية بالمميزات و الظواهر الصوتية و الشكلية، و النحوية و المعجمية. تظهر اللهجة الاجتماعية في الواقع عبر ما نسميه اجتماعياً "بالنبرة". أظهر لابوف العلاقة الموجودة بين طريقة النطق و الانتماء الاجتماعين و درس الانفعال الذي يدفع بالمتحدثين الراغبين بالانتفاض اجتماعياً للتخلي عن طريقة نطقهم لتبني طريقة نطق جماعة اجتماعية أكثر اعتبارا في نظرهم. من منظور أكثر شمولاً، لا نرى اللهجة الاجتماعية على أنها مجموعة من المميزات، بل هي تشكيلة لسانية متنوعة، أو هي نظام لساني لجماعة اجتماعية، على الأرجح هي تطبيق للنظام اللغوي من طرف هذه الجماعة، على سبيل المثال نميز الفرنسية الشعبية، و لهجة الضواحي، و اللهجة البورجوازية ...الخ

(Marie-louise MOREAU, Sociolinguistique, concepts de base, Mardaga, p265)

(3)- بفضل المميزات الاثنوغرافية يمكن البحث عن الروابط. أولا مع العرق المرتبط باللغة من خلال سلسلة طويلة من الالتباسات المتعلقة بمظهر المنشأ الجيلي المشترك و المحفوف بغموض المصطلحات في الاستعمال الشائع. فالعرق مفهوم أنتربولوجي يتألف من مجموعة بشرية ليست بالضرورة مستمرة، و لا محددة بالسمات المشتركة الأخرى حيث يهيمن إحصائيا نوع فيزيائي معين. فحسب قوانين البيولوجيا هذا النوع ينتقل، ينتشر، يتغير، أو يختفي بسبب التكيف مع الوسط و دينامية حامليه، الاختلاطات التي يتعرضون لها، و الطفرات الوراثية التي تظهر. و بالتالي فالعرق هو مفهوم مادي و إحصائي يمثل

أحيانا في الجماعات المعزولة من قبل المجموعات البشرية الحقيقية، لكن في غالب الأحيان يمثل في المجتمعات التاريخية المركبة عن طريق سلاسل من الأفراد المنتمين إلى جماعات مختلفة، الأمم، الطبقات، و حتى العائلات حيث يتم تمثيل أنواع عرقية عدة بنسب متغيرة.

(Roland BRETON, géorgraphie des langue, presses universitaires defrance, 2ed, 1983, p27.)

1- دور العوامل الاجتماعية:

تتوفر معايير و أطر نظرية مختلفة لتحديد علاقات متحدث ما و لغته بالمجتمع.

أ - الفئة الاجتماعية المهنية: (ف ا م)

هو تحديد فئوي، يأخذ بعين الاعتبار الحِرَفْ، الفروع المهنية، مستوى التمدرس المحصل عليه و المؤهلات. فالخراط (مهنة الخراطة) يدخل في فئة العمال المؤهلين، و الطبيب في فئة المهن الحرة، هذا التصنيف مثلا خاص بـ(L'INSEE[1]) للإحصاء. هل توجد علاقة ارتباط بين فئة اجتماعية مهنية و طريقة تعبير ما؟ هل يمكننا توقع إطار للحديث خاص بالعامل أو الفلاح؟ تبقى هذه الأسئلة موضوع نقاش قائم.

ب - النظام الاجتماعي الطبقي:

في تحريات ميدانية أولى- بالأخص تلك المرتبطة بمدينة نيويورك- اعتمد لابوف تقطيعا جد مختصر لفئات المجتمع و طبقاته المتمثلة في: الطبقات الراقية، الطبقات المتوسطة و الطبقات الدنيا. و هكذا بين أن أعضاء هذه الفئات الاجتماعية الثلاث يمتلكون سلوكات لغوية متميزة.

تتميز الطبقات المتوسطة بالتصحيح المفرط ، الذي يعود إلى حالة اللا أمن اللغوي[2] لديها، و بالتالي تحاول تقليد الطبقات الراقية في طريقة حديثها ، وهذا ما يدفع بهذه الطبقة إلى تجاوز الحد النظامي المطلوب في استعمال اللغة ، وهكذا ففي الحالات اليومية، متحدثو الطبقة البورجوازية هم فقط من ينطقون حرف " r " في آخر الكلمة على سبيل المثال: "Floor".

---

(1)- المعهد الوطني للإحصاء و الدراسات الاقتصادية .

(2)- يرمز ويليام لابوف في بعض من نصوصه التي جمعت في (sociolinguistic patters 1973) و الذي ترجم إلى الفرنسية في 1976، إلى (دليل اللا أمن اللغوي). يعرض لابوف لشخص ثمانية عشر لفظًا و التي تختلف طريقة نطقها بصفة دلالية:

(vase,tante,escalier mécanique) ,vase, aunt, escalator… etc و يطلب منه اختيار الشكل الذي يراه صحيحا و بعد ذلك يطلب منه أن يشير إلى أي من هذه الأشكال يستعملها عادة، عدد الحالات أو هذين الخيارين يشكلان دليل اللا أمن اللغوي، ويظهر هذا أكثر في البورجوازية الصغيرة. متحدثو الطبقة البورجوازية الصغيرة هم أكثر المعنيين و أكثر تعرضا للا أمن اللغوي، و يظهر هذا في تنوع لغوي واسع و الحرص المفرط في النطق و استعمال اللغة بصفة عامة.

(Louis-Jean CALVET, pour une écologie des langues du monde, Plon, 1999, p150,151)

و من جهة أخرى، تركيا التي تنتمي إلى مجموعة البلدان التي تدعي أنها تتحدث لغة واحدة، و لكنها في الواقع من الدول ذات الألسن المتعددة. ومن خلال الصراعات الأثنية في تركيا ازدادت المعارف عن المقاومة التي يبديها الشعب الكردي غير القريب من الأتراك لغويا و نسبياً، ضد الاحتكار التعليمي و الإداري الذي تمارسه الحكومة التركية.

كانت الرموز اللغوية للهيمنة الصربية و القمع الممارس بحق الألبان جزءا لا يتجزأ من هذه الأزمة. ثم إن عدم منح الألبان في كوسوفو حق ممارسة حقوقهم الشرعية ما يتعلق باستخدام لغتهم الأم دفعهم إلى استخدامها داخل منازلهم فقط. أما في التعليم المدرسي و في أماكن العمل و الحياة الوظيفية فكان الألبان يعتمدون على وسيلة تواصل غريبة، عن لغة (عدوهم اللدود)، اللغة الصربية.

(هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث. ص ص55،57،58.)

و في هذا الصدد هناك فكرة حماية اللغات القزمة منصوص عليها في الاتفاقيات و المعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، و الأقليات و الثقافات المحلية. لقد حدث تفهم عالمي لمشكلة الشعوب الأصلية، و أحد الرموز الدالة على ذلك هو انتباه الرأي العام العالمي للموضوع الذي اختارته منظمة الأمم المتحدة لعام 1993 و تكريس ذلك العام للشعوب الأصلية. إذن من يعترف بحقوق الإنسان جملة و تفصيلا فانه يقبل حق المحافظة على اللغات الأصلية و الثقافات المحلية. (نفسه ص ص220،221)

و في إطار ممارسة اللا أمن اللغوي هنالك لغات يمارس عليها الضغط و القمع من قبل اللغات الأخرى. في الواقع هناك حالات كثيرة تشكل فيها الاتصالات بين اللغات بؤرا للأزمات. و أغلب هذه الحالات هو الوضع الذي تمارس فيه اللغة المهيمنة (على سبيل المثال اللغة الرسمية للبلاد) ضغطا على لغة غير مهيمنة (على سبيل المثال لغة أقلية أثنية).

و من الأمثلة الصارخة على مثل هذه الأزمات كان الوضع السائد في كوسوفو حتى اندلاع الحرب في مطلع صيف عام 1999. إذ كانت لغة أكثرية سكان هذه المنطقة، أي اللغة الألبانية، لا تملك أي حقوق مما جعلها تتراجع إلى مصاف اللغات المحلية العادية تماماً. و من ناحية أخرى احتلت الصربية و هي

لغة أقلية في الحياة العامة جميع وظائف الاتصال ابتداء من المعاملات الرسمية و انتهاء بالتعليم المدرسي هكذا هيمنت الأيديولوجية اللغوية الصربية للدولة على الرغم من الطبيعة الفيدرالية السائدة في يوغوسلافيا، و في كوسوفو أيضاً.(...) و على غرار الطريقة التي خضعت فيها لغة أحد أطراف النزاع، كما في النزاع اللغوي في كوسوفو، إلى تقييمات ازدرائية أطلقها طرف على الطرف الأخر (و لا تزال فعليا حتى الآن)، هناك استراتيجيات مماثلة كما هو الحال في الصراع التركي- الكردي في شرق تركيا. و هناك أيضا تعتبر اللغة الرسمية للدولة (التركية) من قبل الناطقين باللغة غير المهيمنة (الكردية) أداة للقمع. (هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها. ص ص39،40.)

يشكل التدخل في المعجم في بعض الحالات، ردا على تهديد قوة غازية، إذ يعتبر أن مفردات غريبة تغزو اللغة، و أنه ينبغي أن يطرد هذا الغازي الغريب خارج المعجم لتحل محله مفردات أصلية. إن الدفاع عن نقاء المعجم الغوي أمر شائع.

يتراوح التدخل في مجال التوليد المعجمي عموما بين قطبين اثنين: الاقتراض من جهة، أي استعمال لفظة موجودة في لغة ثانية و التوليد الداخلي من جهة أخرى. أي استعمال لفظة موجودة في لغة ثانية، و التوليد الداخلي من جهة أخرى. أي خلق كلمة جديدة اعتمادا على الجذور الخاصة باللغة نفسها.

(لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د.حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص 325،326).

يطرح بورديو دراسة لمتحدثي الطبقة الخاضعة، و تعتبر كذلك لأنها لا تملك الرأس مال الاقتصادي و الثقافي، فيلاحظ أن هؤلاء المتحدثين استقروا في هذا الخضوع و هم متواطئون على ذلك (بما أنهم لا يطالبون بشرعية منتوجاتهم اللغوية المهيمنة) و هذا ما يترجم في خطاباتهم بالخضوع بوعي أو بلا وعي لطريقة النطق، و معجمهم اللغوي بكل الأشكال، و تجدهم تائهين في فوضى تفقدهم إمكانياتهم و تجعلهم غير قادرين على إيجاد الألفاظ، كما لو أنهم جردوا من اللغة التي هي ملك لهم.

(Marie-louise MOREAU, Sociolinguistique, concepts de base, Mardaga, p171)

صحيح، أن الكثير من لغاتنا معرض للخطر، حيث تموت في كل عام في مكان ما من العالم لغة ما. و من ناحية أخرى فان إدراك التعرض للخطر و الظروف المحيطة به قد أدى أيضا إلى زيادة فعالية التصدي لموت اللغات، و على الرغم من محدودية القدرة على حماية اللغات المعرضة للخطر، فان فرص بقاء و استمرار حتى أصغر اللغات ليست ضئيلة أبدا كما يبدو للوهلة الأولى. ثم إن هذا يرتبط أيضا بنفي مسؤولية العولمة مسؤولية مباشرة عن تعرض اللغات غير المهيمنة إلى الخطر.

(هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث. ص30.)

و في دراسة للحالة اللغوية في الجزائر و هذا في مجال اللا أمن اللغوي فنرى مساهمة كبيرة للتعريب في التهميش المتزايد للهجات الشعبية. فالرغبة في فرض العربية الفصحى (العربية الكلاسيكية) و تعميم استعمالها بكل الوسائل الممكنة و المدرسة و وسائل الإعلام و محو الأمية و ترويج الإيديولوجية الرسمية تستجيب لمنطق خاص بالدولة الجزائرية المنخرطة (أو على الأقل هذا ما تدعيه) في سبيل تحديث البلاد و بناء دولة تقوم دعائمها الأساسية على الدين و اللغة الوطنية و التقدم عن طريق التقنية و العلم و التي ستقودها إلى محاربة جميع المظاهر التي من شأنها عرقلة أو تهديد بناء هذا الكيان.

(خولة طالب البراهيمي، الجزائريون و المسألة الغوية، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، ص238)

أما المنتمون إلى الطبقة الدنيا و البرجوازية الصغيرة فهم تقريبا لا ينطقون به ، و لكن في حين تزيد الطبقة الراقية و طبقة العمال معدل التلفظ بـ "r " بطريقة منتظمة، ليبقى ذلك الأسلوب الأكثر مراقبة، فان البورجوازية الصغيرة تتجاوز معدلات التلفظ ب"r " الطبقة الأكثر رقيا.

ج - الطبقة الاجتماعية :

تتشكل المجتمعات في إطار النظرية الماركسية عن طريق التشابك بين الطبقات الاجتماعية[1]. يمتلك بعض الأفراد وسائل الإنتاج و رأس المال، و يمثلون الطبقة البرجوازية في المجتمعات الرأس مالية، أما البعض الأخر لا يمتلكون سوى اليد العاملة، التي يقايضونها بصفة تعاقدية، وهم يمثلون الطبقة العاملة أو البروليتاريا. تتمثل الإشكالية المطروحة في الإطار الماركسي في معرفة ما إذا كانت المنظومة الاقتصادية لمجتمع ما (بنيته التحتية) تحدد و تؤطر اللسان و اللغات (العناصر الاديولوجية المنتمية إلى البنية الفوقية) و إذا كان هذا التحديد الذي يضعه الاقتصادي موجودا، فكيف يتمظهر في اللسان؟

هناك مناقشة شهيرة تستحق الذكر هنا. و يتعلق الأمر بالذي شاهد مواجهة مار، اللساني الجورجي المناصر للتحديد الجذري للغة عن طريق نظام الطبقات،و ستالين في 1953، هذا الأخير الذي وجه تفنيدا صريحا لمثل هذه الفرضية (الماركسية و اللسانيات)[2].

(1)- تركز اللسانيات الاجتماعية على الاختلافات اللغوية و الاجتماعية، و تطرح تساؤل متمثل في كيفية تمظهر الطبقات الاجتماعية في استعمالها للغة. قد يستبعد اللساني كليا هذه الفكرة، و هذا راجع إلى أن فكرة الطبقات تعني علم الاجتماع و العلوم السياسية و تخرج عن إطار اللسانيات، فهي تستدعي مفاهيم و تفسيرات غير لسانية و هي تتعلق بالأداء و ليس بالقدرة.
عادة ما تصنف الكتب دراسة الطبقات الاجتماعية في صنفين و طريقتين: المفاهيم الواقعية، أين تكون و تحيا الطبقات الاجتماعية في حد ذاتها، و من جهة أخرى المفاهيم الاسمية و التي لا تظهر إلا من وجهة نظر المثقفين. الممثل الأول للمجموعة الأولى هو "كارل ماركس".

يتحدد الانتماء الطبقي للفرد عن طريق مكانته في عملية الإنتاج. تجمع أفراد الطبقة مصالح اقتصادية و بعض من المميزات (طريقة العيش، ظروف العمل ...) و وعيهم بالانتماء إلى هذه الطبقة. أما العلاقة بين الطبقات المختلفة فهي علاقة تضاد و تنافس: يشكل نزاع الطبقات المحرك الرئيسي للتطور الاجتماعي، و يقابله الرأس مالي، الرأس مالي الإنتاجي (الرأس ماليين، أو البورجوازية) و الذين لا يمتلكونه (مبدئيا العمال). تنشأ على هذه القاعدة الاقتصادية "بنية فوقية قانونية و سياسية" و التي تضم فيها كل المؤسسات و الإيديولوجيات، و تعتبر كجزء متمم للبنية الفوقية، في نفس المرتبة مع القانون، الديانة، الفلسفة، الحكمة، و المؤسسات مثل العائلة، و حتى اللغة لدى بعض الماركسيين، و هكذا تكون القاعدة اللسانية، و اللغة الشرعية ليست إلا لهجة اجتماعية للطبقات المهيمنة.

(Christian BAYLON, Sociolinguistique, société, langue et discours, Nathan, 1996, p79,78)

أما عن المواقف الماركسية حول اللغة فظهرت مقاربة اجتماعية للغة، و قد ظهرت في صلب التيار الماركسي. و كان بول لافارق، صهر ماركس في 1894 قد نشر بعد دراسة حول مفردات اللغة الفرنسية، مبينا بأن اللغة قد تغيرت في هذه الفترة تغيرا هائلا، رابطا هذا التغيير بالأحداث السياسية. بطبيعة الحال، كان هناك نوع من الآلية في رؤيته: "لقد سقطت اللغة الكلاسيكية بسقوط الملكية الإقطاعية، و أن اللغة الرومانسية التي نشأت في منابر المجالس البرلمانية ستدوم ما دامت الحكومة البرلمانية" .

وضع نيكولا مار نظرية اللغات اليافثية (نسبة إلى ابن نوح الثالث يافث، بعد سام و حام اللذين أعطيا اسميهما بعد إلى اللغات السامية و الحامية) و التي حاول تطبيق الماركسية عليها. إن فكرته بسيطة نسبيا: يسلم مار بوجود أصل مشترك لجميع لغات العالم، علما بأن التواصل كان قائما أولا على الحركات، ثم ظهرت أربعة عناصر صوتية لتشكل لغة طائفة في الحكم. لقد كانت اللغة إذن منذ نشأتها أداة السلطة و هي دائما موسومة بتقسيم المجتمع إلى طبقات اجتماعية. و بعد ذلك، أخذت المقاطع الصوتية الأربعة في الائتلاف و التحول و التزايد لتعطي اللغات المختلفة للعالم. و هذا البناء كله المستوحى من ماركسية مختزلة كان لا بد أن يتوفر على رؤية للمستقبل: كان مار يظن أن قيام الاشتراكية العالمي يجب أن يفضي إلى ظهور لغة واحدة، و هو ما كان مسوقًا للفكرة القائلة بأن اللغات تعكس الصراع الطبقي.

(لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، ص ص14،15)

إن الطبقة المجتمعية و الجماعة الدلائلية لا تنسحبان على بعضهما البعض. و نعني بالمصطلح الثاني الجماعة التي تستعمل نفس شفرة التواصل الاديولوجي. و هكذا فان الطبقات المجتمعية المختلفة تستعمل نفس اللسان. و النتيجة أنه في كل دليل اديلوجي تصطدم قرائن قيمة متناقضة. بحيث يصبح الدليل الحلبة التي يجرى فيها صراع الطبقات. إن تعدد التشديدات المجتمعية على الدليل الاديلوجي خاصية ذات أهمية

قصوى. و الواقع إن تشابك قرائن القيمة هو الذي ينفث الحياة و الحركة و القدرة على التطور في الدليل. إن هذا الأخير إذا ما انسحب من ميدان توترات الصراع المجتمعي، و بدا معزولا على هامش الصراع الطبقي فلابد أن يذبل و يذوي و يتفكك إلى كناية و يصبح موضوعا لدراسات فقهاء اللغة، تمتلئ ذاكرة التاريخ البشري بهذه الأدلة الاديلوجية الميتة العاجزة عن تكوين حلبة لتناطح و تضارب التشديدات المجتمعية الحية.

(ميخائيل باختين، الماركسية و فلسفة اللغة، ترجمة محمد البكري و يمنى العيد، دار توبقال للنشر، ط1، 1986، ص ص35،36)

(2)- و دائما في إطار النظرية الماركسية، إن الوعي الفردي واقعة مجتمعية – اجتماعية. و ما دام لم يتم التسليم بهذه الواقعة و بكل النتائج المترتبة عنها، فانه لا يمكن تأسيس علم نفس موضوعي أو دراسة موضوعية للايديلوجيات.

هذا المظهر الدلائلي و هذا الدور المستمر للتواصل المجتمعي، بوصفه عاملا شرطيا، لا يظهر بوضوح إلا في اللغة. فالكلمة هي الظاهرة الاديلوجية الأمثل. إن واقع الكلمة بأكمله تبتلعه وظيفتها كدليل. و لا تحتمل الكلمة أي شيء غير مرتبط بهذه الوظيفة، كما أنها لا تحتمل أي شيء غير متولد عنها. إنها نمط العلاقة المجتمعية الأكثر صفاء و الأكثر حسية.

كان يجب أن نستمد، منذ مدة، من القيمة النموذجية للكلمة و من خاصيتها التمثيلية، كظاهرة اديلوجية، و من الصفاء النادر لبنيتها الدلائلية، البراهين الكافية لوضع الكلمة موضع الصدارة في دراسة الاديلوجيات. ففي الكلمة بالضبط تتجلى الأشكال القاعدية، و الأشكال الاديلوجية العامة على أحسن وجه. يتضح أنه من المهم الاستعانة بالمفاهيم الرائجة للكلمة و اللسان لمعالجة الإشكاليات بطريقة صائبة كما حددتها اللسانيات غير الاجتماعية و فلسفة اللغة. و لا بد من القيام بتحليل عميق و جاد للكلمة كدليل مجتمعي حتى يمكن فهم اشتغالها كأداة للوعي. (ميخائيل باختين، الماركسية و فلسفة اللغة، ص ص22،23،25)

د - الرأسمال الثقافي و السوق اللغوية:

طور **بورديو** في 1982 مقاربة اجتماعية ماركسية للثقافة[1] المبنية على المماثلة بين حركة السلع و ممتلكات رمزية، بما فيها اللغة.
يولد الانتماء الطبقي - عبر التنشئة الاجتماعية - طرق عيش اجتماعية متميزة، و التي يحددها بورديو على أنها جملة من الاستعدادات المدرجة و المحددة للأذواق الثقافية و طرق الكلام على حد سواء، هذه الأخيرة تُتداول في السوق اللغوية[2] و أسعار متميزة مرتبطة بالألفاظ، فخطاب الرجل السياسي مقبول و ذو قيمة، في حين طريقة كلام شباب الضواحي موسوم بالنقص و الاسترذال.

يعتبر الأفراد و طريقة حديثهم موضوعا للتصنيفات الاجتماعية، فملفوظ من قبيل " c'te meuf é'm' brache pas " لن تكون لها نفس القيمة الاجتماعية كالملفوظ التالي " cette femme ne me plait pas" فقط في حالة الأسواق الفرانكفونية - باعتبارها وضعيات خاصة وصفها بورديو- التي تقيم فيها طرائق الكلام بالنظر إلى معايير أخرى غير تلك المتعلقة بالمجتمع ككل. يبني المتحدثون فيما بينهم قيمًا أخرى بحيث تصبح الكلمات النابية و الفاحشة و العامية المبتذلة طرقًا نبيلة للتعبير، و هي الحالة التي توفرها السجون، المقاهي، التجمعات الشبابية (العصابات).

---

(1)- نشر بيير بورديو دراسته هذه سنة 1982 في كتاب عنوانه"ce que parler veut dire"
يتحدث فيها عن اقتصاد المبادلات اللسانية و إنتاج و إعادة إنتاج اللغة المشروعة، كما تحدث أيضا عن القوة الرمزية للغة و الخطاب.

(2)- عند بورديو، التبادلات اللغوية في الجماعة تنتج عن اقتصاد خاص تترك مكانا لسوق مهنية، و التي تعين فيها الأسعار من طرف الذين يمتلكون الرأس مال الثقافي و اللغوي المحصل لفرض سيطرتهم و الحصول على فائدة. إذن السوق اللغوية الرسمية هي مكان للقوة والجدارة حيث الذين يمتلكون الكفاءة الشرعية، أي معترف بها، يستعملون قوته، دون استبعاد وجود أسواق أخرى خارج السوق الرسمية.
(Henri BOYER, Introduction a la sociolinguistique, Dunod, 2001, p34)

تعد اللغة كما هو معروف وسيلة لمعالجة المعلومات و نقلها فقط. ثم إنها ليست رمزا و حيث يتبلور فيه بحث الأفراد و مجموعات الناطقين بهذه اللغة عن هويتهم الثقافية. اللغة عامل اقتصادي أيضاً. و تتميز الطاقة الاجتماعية الاقتصادية الكامنة في اللغات العالمية عن اللغات الأخرى (اللغات الغير العالمية) من ناحية النوعية و الحجم أيضاً، أي ناحية الكمية. لذا فان البعدين المذكورين مهمان جداً في مجال البحث عن تفسير لسيطرة الانجليزية كأهم وسيلة اتصالات دولية في فرع الالكترونيات. أو في نقل المعلومات و كذلك في فروع الإدارة و التسويق. يسر هذا الوضع في الحقيقة تركيز عمليات تطوير و إنتاج السلع الالكترونية في البلدان الناطقة بالانجليزية كما تشير إلى ذلك حصص هذه البلدان في أسواق العالم.

ويتعلق البعد النوعي لمكانة اللغة العالمية الاجتماعية الاقتصادية بحالة التطور الاقتصادي للدول التي يجري فيها استخدام اللغة العالمية، و كما هو معروف فان الدولة الصناعية الرئيسية في العالم مثل الولايات المتحدة الأمريكية، و بريطانيا، و كندا، و أستراليا تنتمي إلى مجموعة الدول التي تستخدم الانجليزية لغة رسمية.

بناء على جميع وجهات النظر النوعية المذكورة آنفا تسود الانجليزية على نطاق عالمي،في حين تحتل اللغات العالمية الأخرى، و بفارق كبير، مراتب تالية للغة الانجليزية. إن القوة الاقتصادية للبلدان المصدرة عامل مهم بالنسبة للمكانة الدولية للغة مثل الألمانية أو اليابانية.

(هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث. ص ص169،170.)

لا تعتبر اللغة كأداة للأداء الإعلامي فقط، تكتسب التنوعات اللغوية وظيفة اجتماعية لكونها مرتبطة بشكل مباشر بالمعايير الاجتماعية. يرتكز كل تبادل كلامي على اقتصاد اجتماعي لساني، أو متحدث و متلقي الذين يختلفون بالنظر إلى العوامل التي تترجم بالسن و الجنس، و الانتماء الاجتماعي الثقافي، مستوى التعليم، المهنة، و الميدان الاجتماعي الثقافي ...) بالأخذ بعين الاعتبار العلاقات الموضوعية بين الجماعات و استعمالاتهم اللغوية، تربط الخطابات دائما بمعيار "القول الجيد" و الذي يفرض نفسه على كل متحدث يتمتع بمهارة اجتماعية. يضفي المتلقي قيمة اجتماعية و فعالية رمزية للأسلوب التعبيري للمخاطب و هذا بالنظر إلى الأساليب الأخرى المنافسة.

يمكن ملاحظة مفعول الأسواق اللغوية في كل حالات التواصل، سواء أكان إدراكيا أم عفويا، على سبيل المثال في الحالات التي يكون فيها تعدد اللغات، فالمتحدث ينشئ خطاباته باختيار الشفرة و خياره سيكون تحت تأثير المميزات الاجتماعية للمتلقي و المستهلكين. انه أيضا أثر الأسواق اللغوية الذي يظهر عندما يغير المتحدث النبرة أو معجمه اللغوي (من الأقل تناسباً إلى الأكثر تناسبا، أو العكس) بتغير الحالة التي هو فيها. (Marie-louise MOREAU, Sociolinguistique, concepts de base, Mardaga, p203,204)

هـ - أنواع التنشئة الاجتماعية:

لقد حلل العالم النفساني الانجليزي **برنشتاين** من خلال كتابه (اللغة و الطبقات الاجتماعية)[1] سلوك و طرق الكلام في عائلات منحدرة من أواسط اجتماعية مختلفة، وقد بين أن هناك وجود لأساليب تنشئة اجتماعية مختلفة - منسجمة مع المجموعات الاجتماعية- كما كانت هذه الأساليب سببًا في ظهور طرق كلام مختلفة. في نظره، أطفال الطبقات الشعبية لهم إمكانية استعمال "الشفرة المحصورة"[2] في حين أن أطفال الطبقة البورجوازية يستعملون "الشفرة المطورة".

---

(1)- Bernstein B, Class, codes, and control, vol 1, Routledge and Kegan Paul, London, 1971.

(2)- لقد طُرح هذا التقابل التصوري من قِبل اللسانيات الاجتماعية الكتلانية و من قِبل الكريبوليون و الرومانيون الألمان الدارسون للأقليات اللسانية، وهذا عبر اللسانيات الاجتماعية التي تريد أن تكون مناضلة و التي ترى في التسوية، العملية التي عبرها يفرض التنوع الإقليمي و الاجتماعي نفسهما بها، و التي يحاول الغير التساوي و التطابق معها. في حين أن التوحيد القياسي يكون عبارة عن عملية منطقية لفرض تنوع لغوي مستقر (تنوع مكتوب و موصوف، بطبيعة الحال في عملية نحوية) في إقليم ما، متحد بمؤسسات ثقافية و لغوية في الوقت نفسه. يمكن لهذا التمييز أن يكون مفيد للتفرقة بين الجانب العفوي و الجانب الإرادي أو المنطقي، في العملية التي يلجأ المتحدثين إلى لغة معيارية.

(Marie-louise MOREAU, Sociolinguistique, concepts de base, Mardaga, p215)

2- الشباب و اللغات:

عندما نسمع الشباب يتلفظون بالعبارات التالية:

"ou as-tu trouvé cette fille ?" "ou' qu' t'as pécho c' te meuf ?" أو "il est vraiment beau ce type" "c'est un mitcho c'te keum" يتولد إحساس بأن ذلك يعد طريقة خاصة بالشباب. هل هناك لهجة خاصة بالشباب أو لغة شبابية؟ يندرج ما سندرسه فيما يلي في علاقة اللغات بسن متحدثيها.

أ- التنوع اللغوي و عامل السن:

تتطور اللغات عبر الزمن، و يبقى حجم التطور عبر الزمن هو نفسه لدى اللغات و لدى متحدثيها، فالشباب البالغون من العمر حاليا عشرين سنة يمثلون الحالة الأكثر ابتكارا و تطورا للغة، و لكنهم سيصبحون بعد ثلاثين سنة ممثلين لحالة لغوية قديمة، فدائمًا ما يكون المتحدثون الأكثر شبابًا هم من ينتجون صيغًا جديدة ومتطورة في فترة من فترات تطور لغة ما.

- **التنوع وفقا للسن**: يمكن ملاحظة اختلافات في استعمال لغة واحدة وفق سن المتحدثين، فقد تولدت في الفرنسية مثلاً اختلافات صوتية مهمة خلال ثلاثة أو أربعة أجيال.

الصوتان المرتبطان ب الصائت "A "، "a" الأمامي، مثلا في كلمة" patte"، و "a "الخلفي مثلاً في كلمة "pâte" تمت معادلتهما لحساب الطريقة الأولى للنطق (بمعنى "a"الأمامي)، و لكن المتحدثون المسنون يدركون وينتجون هذين الصوتين بطريقة عادية.

و هذا يتعلق أيضًا بالتناقض النطقي [e] و [Σ] الذي يميز المضارع (je viendrai) عن أسلوب الشرط (je viendrais) ،كلما كان المتحدثون أصغر سنًا، كلما كانوا أقل نطقا و إدراكا لهذا التناقض الفونولوجي.

عرفت الفرنسية صوتا يدعى اللام المشبعة "L mouillé"، و الذي أستبدل بالياء المشددة "yod" إلا أن المتحدثين المسنين لا يزالون ينطقون كلمة bouillir بلام مشبعة.

الكلمات: من أكثر التغيرات وضوحا و إدراكا عبر الزمن تلك المرتبطة بالجانب المعجمي. تشيخ الكلمات إلى حد أن البعض منها تستبدل تدريجيا بكلمات أخرى، حيث يبدو استعمالها عتيقا، فمثلا كلمة إعلان (في جريدة أو سواها) لا تزال تستعمل لدى المتحدثين المسنين في حين تم استبدالها لدى المتحدثين الأصغر سنا بكلمة إشهار. و نفس الشيء بالنسبة لكلمة "هيئة- allure " المستبدلة بكلمة "look"[1]، أو عبارة: "على الموضة" (a la mode) المستبدلة بكلمة branché (مهتم).

ب- الاقتراضات:[2]

الجماعات الشبانية المتواجدة في فرنسا متداخلة عرقيا، ما يفرز عدة لغات متحدث بها: كالغجرية، العربية، الكريولية[3]، التركية، البامبارا ... ، ترتكز ممارسة شائعة لدى الشباب على اقتراض كلمات من هذه اللغات المختلفة: في الغجرية (beda- شجرة)، criave (الأكل)، daron (الأب)، pélo (الجهاز التناسلي للرجل)، racave (قول)... في اللغة العربية: doura (دورة)، heps (سجن)، rhouan (السرقة)، soua (فتاة)، zetla (المخدرات).
في لهجة wolof*: gorette (فتاة).

---

(1)- و هي كلمة انجليزية تعني زي أو هندام.

(2)- قليلا ما تكتفي اللغات بذاتها. شأنها في ذلك شأن الثقافات و تفضي مقتضيات الاجتماع بالمتخاطبين باللغة إلى اتصال مباشر أو غير مباشر بلغات قريبة أو غالبة ثقافيا. (...) يصعب ذكر لغة أو لهجة منعزلة تماما و الأمر نادر لدى الشعوب البدائية، فالقبيلة غالبا ما تكون صغيرة، فيؤدي ذلك إلى كثرة التزاوج بينها و بين القبائل التي تستعمل لهجات مغايرة أو لغات لا صلة بينها و مهما تكن درجة الاتصال بين الشعوب المتجاورة و طبيعته فهو كفيل في الغالب بأن يؤدي إلى ضرب معين من التأثير اللغوي المتبادل. و كثيرا ما يكون التأثير شديدا في اتجاه واحد، فلغة الشعب التي تعد مركزا ثقافيا هي التي تتكفل طبعا بالتأثير الهام في غيرها من اللغات المستعملة قريبا منها أكثر من أن تتأثر بها هي نفسها.

فلقد غلبت اللغة الصينية على مفردات اللغات الكورية و اليابانية و الألمانية لعدة قرون و لم تأخذ شيئاً مقابل ذلك. و أحدثت اللغة الفرنسية في أوروبا الغربية في العصور الوسيطة و الحديثة تأثيرا مماثلا و إن بدا أقل أهمية. و اقتبست اللغة الانجليزية عددا كبيرا من المفردات من فرنسية الغزاة النورمان ثم من البلاط الملكي الفرنسي، فأخذت عددا من الزوائد الاشتقاقية. و أبسط أنواع التأثير التي يمكن أن تحدث في لغة من اللغات ((اقتراض)) الكلمات و متى وجد الاقتباس الثقافي فثمة دائما إمكانات اقتراض الكلمات المتصلة به أيضا. فلما دخلت المسيحية انجليترا أخذت كلمات عديدة متصلة بها طريقها إلى الانجليزية فكل اتجاه ثقافي يزود اللغة برصيد جديد من الكلمات الدخيلة. و تكون الدراسة الدقيقة لمثل تلك الكلمات الدخيلة تفسيرا هاما لتاريخ الثقافة. فيمكن للإنسان أن يقدر الدور الذي تلعبه مختلف الشعوب في تطوير الأفكار الثقافية و نشرها بملاحظة مدى أهمية تسرب مفرداتها إلى مفردات شعوب أخرى، فهل توجد مقاومة ذات طبيعة أكثر خصوصية لاقتراض الكلمات؟

غالبا ما يقال أن طبيعة الاقتراض و انتشاره موكولان إلى الحقائق التاريخية للعلاقات الثقافية، و غالبا ما يفضي اقتراض الكلمات الأجنبية إلى تغيرها الصوتي، و لا شك أنه توجد أصوات أجنبية و التي لا تنسجم مع العادات الصوتية الأصلية، فهي تتغير حتى لا تحدث الكثير من الإجحاف بتلك العادات، و كثيرا ما يؤول الأمر إلى حلول صوتية وسطى.

(ادوارد سابير، اللغة مقدمة في دراسة الكلام، الجزء الثاني، ترجمة المنصف عاشور، الدار العربية للكتاب، 1997، ص ص 105، 106، 107، 110)

و في مثال عن اقتراض لغة البامبارا من الفرنسية، كان نمطان من أنماط التوليد المعجمي العفوي يتنافسان في لغة البامبارا في مالي في أثناء الحقبة الاستعمارية، أولهما يقترض من الفرنسية مباشرة، و الثاني يخترع كلمات جديدة تعتمد على بنى اللغة البامبارية، و هذا مثال عن ذلك، يتعلق الأمر بالاقتراض من الفرنسية: أليماتي من (Allumette) أي عود الثقاب، أسياتي من (Assiette) أي الطبق، بالاني من (Balance) أي الميزان، فوتو من (Photo) أي صورة، كاميون من (Camion) أي الشاحنة، موبيلي من (voiture) أي السيارة ... الخ.

(لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د.حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 328)

(3)- الكرييولي: أحد مواليد جزر الهند الغربية أو أمريكا اللاتينية المنحدرين من أصل أوروبي أو من أصل اسباني بخاصة، أو أبيض منحدر من نزلاء بعض الولايات المتحدة الفرنسية أو الاسبان الأولين و لكنه لا يزال يحتفظ بلغته و ثقافته الأصليتين، أو شخص يجري في عرقه مزيج من الدم الفرنسي (أو الاسباني) و الزنجي يتكلم بلهجة من لهجات الفرنسية أو الاسبانية. و الكرييولية هي الفرنسية التي ينطق

بها كثير من الزنوج في الجزء الجنوبي من لويزيانا مثلاً (...). ثم إن البحوث المتعلقة بعمليات الاندماج الغوي خلال الفترة ما قبل التاريخ هي فروع من علم الكرييولية، أي بحث اللغات الكرييولية في الوقت الحاضر. كانت اللغات الكرييولية تتمتع مدة طويلة من الزمن في العالم بسمعة غير طيبة مفادها أن هذه اللغات عبارة عن أنماط فاسدة أو محرفة من اللغات الثقافية الأوروبية. و على الرغم من أن الاهتمام بخصائص لغات الكرييول كان قد بدأ في القرن السابع عشر، فان علوم اللغة المقارنة- التاريخية في القرن التاسع عشر لم تعترف بلغات الكرييول على أنها لغات تستحق البحث. و هكذا مر وقت طويل إلى أن أقدم الباحثون على تكريس أنفسهم لدراسة أنواع و ضروب لغات الكرييول. وتشكل لغات الكرييول أهمية خاصة بالنسبة للباحثين في علوم العلاقات اللغوية مثل علماء الأثنولوجيا، و كذلك بالنسبة للباحثين في هويات الشعوب. و بغض النظر من أن الأعداد الكبيرة من لغات الكرييول التي تتحدثها ملايين الناس لا تعتبر هامشية في نطاق لغات العالم، فان بعضها قد حصل على مكانة اللغة الرسمية. من الأمثلة على ذلك الكرييولية – الفرنسية في هايتي أو توك بيسين في بابوا- غينيا الجديدة.

(هارالد هارمان، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث. ص ص425،427.)

لقد تيسر لحاجيج أن يختار عنوانا "مختبر اللغات الهجينة في المستعمرات"، لأحد فصول كتابه الرائج "إنسان الكلام". وذلك لأن حالة تلك اللغات قد تتناسب مع التغيرات اللسانية المتواترة في ظروف التوازن اللغوي الفاقد للثبات. و يمكن مشاهدة بالعين المجردة عمليات تكونها: يقصد هنا التعبير عن رؤية باعثة على التفاؤل بعض الشيء. يدل مصطلح اللغة الهجينة (الكريول) على اللغات تبعا لمبدأ التمثيل الاجتماعي. و يتم إنتاج تلك اللغات عن طريق الاحتكاك بين لغة أوروبية و ناطقين أجانب يحاولون امتلاكها بطريقة لا منهجية.

(بيار أشار، سوسيولوجيا اللغة، تعريب الدكتور عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، ص56.)

أما عن الفرق بين البيدجين و الكرييول، فالبدجين هي لغة تأخذ نحوها من لغة و مفرداتها من لغة أخرى، و هي ثمرة من ثمرات الاحتكاك بين المتخاطبين من أبناء اللغات المختلفة، حين يكونون في وضع تطرح فيه مشكلة التواصل. هكذا نشأت اللغة الانجليزية الخليط التي أعطت اسمها لهذا النوع من لقاء الانجليزية و الصينية في وضع التبادل التجاري على وجه الخصوص، قاعدة نحوية صينية، ومفردات انجليزية ينطق بها على الطريقة الصينية. و كلمة (بيجين) نفسها التي تعني اللغة الخليط. و الكرييول لغة مختلطة نتجت عن اتصال إحدى اللغات، الفرنسية أو الاسبانية أو البرتغالية أو الانجليزية أو الهولندية بلغة محلية، فأصبحت لغة أم لجماعة من الناس. مثلما اللغة المزيج في هايتي و في المقاطعات الفرنسية الواقعة في ما وراء البحار، مثل المارتينيك و الغوادلوب.

(لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د.حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية،ص ص 401، 403)

ج- العامية:[1]

انتظامها: العامية هي طريقة مورفولوجية للتغيير الشكلي للكلمات الموجودة. ترتكز على مبدأ تحليل الكلمات إلى مقاطع و تغيير ترتيبها العادي بالاستبدال العكسي. فانطلاقا مثلا من كلمة casser التي تحتوي على مقطعين (ca-ssé) ينتج عن طريق الاستبدال العكسي للمقطعين كلمة séca (ser-ca).

انطلاقا من métro (mé-tro) ينتج tromé(tro-mé).

انطلاقا من musique (Mu-zik) ينتج zikmu (zik-mu).

عندما تكون الكلمات أحادية المقطع، طريقة التحويل إلى العامية تتمثل في قلب حروف الكلمة بجعل الصائت في وسط الكلمة femme-(f-a-m)-maf-meuf،

Sac-(S-a-c) -cas-keuss.

الوظائف الاجتماعية: العامية هي لغة سر، لغة مشفرة، وهي تتيح لأفراد جماعة لغوية ما التحدث فيما بينهم من دون أن يفهمهم الغير. هي لغة الجماعة التي تأخذ بعين الاعتبار وظيفة الهوية في اللسان. التحدث بالعامية هو إظهار لجملة من العلامات التي يسجل من خلالها الاعتراف بأفراد الجماعة من جهة، و التمييز للأفراد الذين لا ينتمون لتلك الجماعة. هذا الدور التمييزي و الإدماجي ليس مقتصرا على العامية و لكن على جميع الممارسات اللغوية الإصلاحية بما فيها العاميات المهنية أو لغة العمل.

---

(1)- بين اللغات العامية، نجد مصطلح الرطانة أكثر استعمالا حاليا، و خاصةً لدى الشباب الفرنسيون المنحدرين من الهجرة (الجيل الثاني)، ينطلقون من مبدأ قلب المقاطع في الكلمة. تستوجب هذه العملية تحليل مقطعي و بعض من التحويلات للمعنى في آن واحد. وهكذا يتم تحويل كلمة مركبة من مقطعين: "Cv Cv" على هذا النحو s2 s1 «---- s1 s2 ، هذا القلب يستلزم إدراكا للمتحدثين بالتركيب المقطعي. و هكذا تتحول كلمة Taxi إلى Xita،

Bonhomme إلى nombo، في المقابل، لتحويل الكلمات ذو مقطع واحد من نوع Cv أو CVC، يجب إما قلب ترتيب الأصوات، أو إضافة /O/ في نهاية الكلمة للحصول على كلمة

مركبة من مقطعين، و التي ستحول بعد ذلك كما في المثال الأول.

(Marie-louise MOREAU, Sociolinguistique, concepts de base, Mardaga, p290,291)

الخاتمة:

بعد هذا العرض لمسار البحث الذي تطرقت فيه إلى مختلف الحيثيات المرتبطة بموضوع البحث، بدءًا بجانب الترجمة وصولا إلى الجانب التحليلي، أين كان هدفي التحليل و التوسع في معظم و في أهم المصطلحات و الأفكار الواردة في الفصلين بالاعتماد على أهم المراجع و القواميس المتخصصة، وبعد سلسلة من العمليات التحليلية ، يتضح أن الترجمة أداة مهمة لمواكبة الحركة الفكرية و الثقافية في العالم من خلال ما تقدمه من إسهامات في شتى الميادين العلمية منها و الأدبية، إذ تضمن تواصلا أكبر بين شعوب العالم على اختلاف لغاتها و لهجاتها و عاداتها و تقاليدها. و هنا يبرز الدور الأساسي للمترجم ، الذي ينبغي أن تكون معرفته بالثقافتين متوازية إلى حد كبير ، حتى لا يجرد النص من روحه الدلالية ، بسبب تلك الفروق اللغوية و غير اللغوية بين النص الأصل و النص الهدف.

ليس هنالك من أدنى شك في أن من يعمل على سلامة اللغة وضمان استمرارها هم أهلها الذين نشؤوا في ظلها صغارا وارتاحوا لمعاشرتها كبارا. غير أن اللغة ليست متغيرا يمكن فصله عن الثقافة والسلوكات الاجتماعية الأخرى، فكل التحولات الطارئة على السلوك اللغوي الفردي والجماعي هي في واقع الحال تمظهر للتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تشهدها الجماعة اللغوية بفعل المتطلبات المرتبطة بالحاجيات اليومية وبفعل المنافع المرافقة لاستعمال اللغة.

لعل أهم العناصر المهددة للغة هو غياب الاهتمام بالتعدد اللغوي على المستوى الجهوي والمحلي، وقد يكون الإهمال عن قصد أو عن غير قصد، وفي الحالتين تلك هي زلة كبرى في إستراتيجية الحفاظ على اللغة والتعدد اللغوي. ومن العناصر المهددة كذلك ترك اللغات في سباق حر، غير متكافئ في اغلب الأحيان بالنظر إلى المتغير الاجتماعي والبشري والجغرافي والثقافي لكل لغة. فكيف يمكن تصور نتائج مثل هذا السباق في ضل الزحف الهائل للغة الانجليزية عبر كل العالم، والتي يتم تسويقها تماما مثل السلع التي توجد في كل بيت، بل هل يمكن تصور مستقبل لغات جهوية ومحلية لا تزال تصارع من اجل البقاء وتناضل من اجل انتزاع اعتراف رسمي؟ ولعل الأخطر من بين عناصر الهدم ـ في ظل

الصراع اللغوي اللامتكافئ ـ نفور أهل اللغة من استعمالها في الحديث اليومي حتى فيما بينهم، لأن في ذلك تقليصا من مجال تحققها وإضعافا من مدى انتشارها. وتلك هي غاية العولمة اللغوية التي ـ في حال نفور أصحاب اللغة من لغتهم ـ ستكون ماحقة للغات الوطنية والمحلية دون تردد ولا رأفة. كيف يمكن إذن تصور استراتيجة لغوية من اجل التمكن من مواجهة شبح العولمة الذي لا يعترف إلا بلغات العلم والتكنولوجيا والتجارة، والذي لا سلطة فيه إلا بالتكتل والالتحام.

هكذا تبرز الحاجة إلى سن سياسات لغوية تهدف إلى إبراز الهوية والحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي لمختلف مكونات المجتمع بغية الإبقاء على تماسكه رغم تعدده اللغوي وتنوع مرجعياته الثقافية. لكن ومن اجل أن تكون السياسة اللغوية ذات جدوى يلزم أن تكون هنالك علاقة بين ما تطرحه هذه السياسة وشروط الحال السوسيولساني للمجتمع بشكل عام، وغياب هذه العلاقة يعني غياب مخطط لغوي واقعي، وهو ما يعزل السياسة اللغوية نفسها ويقصي الغاية من وجودها. إن الغاية القصوى لأية سياسة لغوية يجب أن تتمحور حول تحويل اللغة إلى استعمال طبيعي من طرف شرائح عريضة من المجتمع وتكوين موقف توافقي جماعي من الوضع اللساني بوجه شامل، وهذا هو المؤشر الحقيقي الوحيد على نجاح وفعالية سياسة لغوية ما.

ويبقى ما هو أهم في إستراتيجية صون اللغة والحفاظ عليها كلغة تواصل بالمعنى الشامل للتواصل هو الحرص على توريث اللغة ونقلها من جيل إلى جيل، وذلك بصون الجانب الاستعمالي التداولي داخل الأسرة والعشيرة وداخل الجماعة والفضاء المكاني.

ثبت المصطلحات الواردة في البحث

فرنسي – عربي

-A-

accents	تنغيمات
Atlas linguistique	أطلس لساني
Atlas ethnologique	أطلس عرقي

-B-

Bilingue	مزدوج اللغة

-C-

Cartes géographiques	خرائط جغرافية
Classe haute	طبقة راقية
Classe moyenne	طبقة متوسطة
Classe basse	طبقة دنيا
Classes sociales	طبقات اجتماعية
Capitaliste	رأس مالي
Code restreint	شفرة محصورة
Code élaboré	شفرة مطورة

-D-

Dialectalisation	أَلْهَجَةْ
Dialectologues	لهجيون
Diactologie	علم اللهجات
Dialecte	لهجة

-E-

emprunt	اقتراض
Entretiens	مقابلات

-I-

Isoglosse	خط التماثل اللغوي
Insécurité linguistique	لا أمن لغوي
Infrastructure	بنية تحتية

-J-

Jargon	رطانة

-L-

Langue officielle	لغة رسمية
Langue Nationales	لغة وطنية
Langue régionale	لغة محلية

-M-

Monolingue	أحادي اللغة
Marché linguistique	سوق لغوية

-O-

oscillographe	مسجل الذبذبات

-P-

Patois	عامية
Phonétique(élément)	صوتي(عنصر)

Politique linguistique	سياسة لغوية

-Q-

Questionnaires	استبيانات

-R-

Radiologique	راديولوجي
Ruraux	ريفية

-S-

Sociolectes	لهجات اجتماعية
Spectrographe	مرسمة الطيف الصوتي
Superstructure	بنية فوقية

-T-

Territoriales	إقليمية
Transmission	توريث

-V-

variationnisme	تيار تنوعي
Variétés régionales	تنوعات اقليمية
Variation géographique	تنوع جغرافي
Variation sociale	تنوع اجتماعي
Verlan	عامية
Vitalité	حيوية

قائمة المصادر و المراجع :

أولاً: المصادر:

1- Josiane BOUTET, Langage et société, Edition du seuil, 1997

ثانيًا: المراجع:

1- العربية:

1- بوقربة (لطفي)، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، معهد الآداب و اللغة، جامعة بشار.

2- سهيل (إدريس)، المنهل، قاموس فرنسي- عربي، دار الآداب للنشر ،ط42، 2011.

2- المترجمة:

1- أشار (بيار) ، سوسيولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب ترو. منشورات عويدات، بيروت، 1996، ط1.

2- باختين (ميخائيل) ، الماركسية و فلسفة اللغة، ترجمة محمد البكري و يمنى العيد، دار توبقال للنشر، ط1، 1986.

3- جان كالفي (لويس) ، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة للنشر.

4- جان كالفي (لويس) ، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د.حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية.

5- ديكرو (اوزوالد) ، ماري سشايفر جان ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي،ط2، 2007.

6- هارمان (هارالد) ، تاريخ اللغات و مستقبلها، ترجمة سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث.

7- و ليمز (ريموند) ، الكلمات المفاتيح، ترجمة نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، ط1، 2007.

8- طالب الإبراهيمي (خولة). الجزائريون و المسألة اللغوية، عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، 2007.

9- سي (هجمان روي) ، اللغة و الحياة و الطبيعة البشرية، ترجمة داود أحمد السيد. عالم الكتاب، ط2.

10- سابير (ادوارد) ، اللغة مقدمة في دراسة الكلام، الجزء الثاني، ترجمة المنصف عاشور، الدار العربية للكتاب، 1997.

3- الفرنسية:

1- A.FISHMAN (Joshua), sociolinguistique, Labor bruxelles.1971.
2- BAYLON (Christian), Sociolinguistique, société, langue et discours, Nathan.1996.
3- BOYER (Henri), Introduction a la sociolinguistique, Dunod.2001.
4- BOURDIEU (Pierre), ce que parler veut dire, librairie athéme fayard, 1982.
5- BRETON (Roland), géorgraphie des langue, presses universitaires defrance, 2ed, 1983.

6- CALVET (Louis-Jean), pour une écologie des langues du monde, Plon, 1999.
7- DUBOIS (Jean), dictionnaire de linguistique et des sciences du langage,larousse, 1994.
8- MOREAU (Marie-louise), Sociolinguistique, concepts de base, Mardaga.1997.

ثالثًا مواقع الانترنيت:

1- http://fr.wikipedia.org/wiki/Louis_Gauchat
2- http://fr.wikipedia.org/wiki/Langue_d'oïl
3-http://fr.wikipedia.org/wiki/Loire_(département)
4- http://fr.wikipedia.org/wiki/Occitan
5- http://fr.wikipedia.org/wiki/Wallon
6- http://fr.wikipedia.org/wiki/Louis-Jean_Calvet
7- http://ar.wikipedia.org/wiki/
8- http://fr.wikipedia.org/wiki/Oscillographe
9- http://fr.wikipedia.org/wiki/Langues_romanes

فهرس الموضوعات:

مقدمـــــة..... أ
التعريف بالكتاب و الكاتب.....01
ترجمة الفصليــن و التعليق عليهم 02
خاتمـــــة 42
ثبت المصطلحات.....44